

مَكِّيَّةُ الْأَبِ فَرَنْسَوَا

سكان أنطونيو

مكية الأب فرسوا



LE COUP DU PÈRE FRANÇOIS

by

SAN ANTONIO

ترجمة

بسام حجار

ARABIC EDITION 1993

© SAWT AL-NAS

P.O.Box:7038 - Limassol

CYPRUS

P.O.Box:113/5796 -Beirut

LEBANON

ISBN 1-85513-174-9

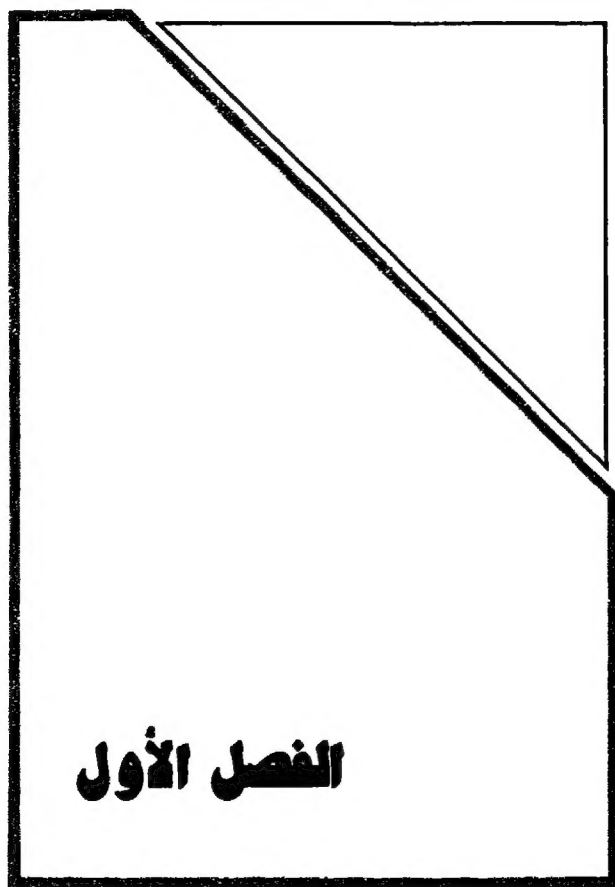
جميع الحقوق العربية محفوظة



الطبعة الأولى، تـب/ أغسطس ١٩٩٣

الخلاف، تصميم ريملة شماعة

رسوم، شبتون كوريفان



كان الصوت باهتاً ورخواً تمازجه نبرة التشكي. ظننتُ في البداية
أنه صوت بينو.

- آلو! أود أن أكلّم الكوميسير سان انطونيو.

- أنا الكوميسير.

- قل لي يا حضرة الكوميسير، أما كنت في صباك تلميذاً في ثانوية
سان جرمان أون لاي؟

فدفعني هذا التلميح الى ماضي الباهر في المدرسة للتنبّه
والاصغاء.

- بالفعل، لماذا تسأل؟

- أنا موريبون، الا تذكرني؟

مكنتُ ذاهلاً وقد استدارت عيناى مثل فطيرتين، وعبّقتُ فيهما
نسمة حنين الى قاعة الصفّ اهتزت لها أطراف منخري.

- موريبون! موريبون العزيز الرقيق، الطيّب! مُستحيل! كيف
حالك يا أستاذي العزيز؟

- في حالٍ أفضل، أجب، ما جعلني أدرك، بلا جهد كبير، أنه
كان متوقعاً.

- وائيُّ طالعٍ سَعَدَ جعلني أَسْتَحِقُّ منك هذا الاتصال؟
فتنحج قليلاً. كانت عادةً لديه. فبعد كل خمس أو ست كلمات
يتلفظ بها، كان يُصدر مثل هذا النقيق المضحك من جوزة عنقه.
- قل لي يا صديقي الصغير...

صديقي الصغير! كما في السنوات الغابرة، في قاعة الصف.
فسرى نغمٌ كأيةٍ رقيق في أوتار قلبي.

- قل لي يا صديقي الصغير، أيجد شرطي بمثل شهرتك وانهماك
متسعاً لدقائق معدودة يكرسها لرجلٍ عجوزٍ مثلي أبل العفُ
نصفه؟

قهقهت ضاحكاً.

- يا له من سؤال! متى المُنْتَقَى؟
- متى نلتقي؟ قال مصححاً. لطالما امتلكت أسلوباً جميلاً في
الكتابة أما كلامك فيُرشى له يا أنطوان!

ثم ردَّ على سُؤالي:

- في أقرب وقت ممكن، قال مورييون راجياً.
- أتريدني أن أذهب اليك؟
- ما كنت لأجروُ على مثل هذا الطلب لولا أنني غادرت المستشفى
لتوي وأشعر أن ساقِي واهنتان.
- لا بأس، أصلُ خلال دقائق، أعطني عنوانك.

كان موريبيون يقطنُ شارع «لا بومب». ومع ذلك، أقسمُ لك أنه لا يشبه سكان الدائرة السادسة عشرة^(*).

✱

✱ ✱

- السادس الى اليسار! نَبَرْتُ حاجبُ المبنى، وهي امرأة ضخمة الجثة يبدو وجهها كأنها قد حُلقت ذقنها حديثاً.

دخلت الى المصعد وما إن استسلمتُ لصعوده بي حتّى رحت أستجمع ذكرياتي استعداداً لمؤتمر صحافي.

لم أعلم قط من أين جاءت تلك التسمية المهنية. زملاء لنا، أكبر سنّاً، لقّبوه بهذا الاسم، وأراهمكم أنّه إذا كان لا يزال في التدريس فلا بدّ أن لقبه ما زال موريبيون. إذ ليس صحيحاً أن المدونات هي التي تجعل دوام التاريخ ممكناً!

ما أن أغلقت بوّابة المصعد خلفي حتّى فتح باب عند صحن الدرج وبدأ منه استاذي العجوز موريبيون. والحق يُقال أنّ الأعوام الخمسة عشر التي انقضت منذ تركي المدرسة لم يكن وطؤها سهلاً عليه. فما إن طالعتني سحتته حتى أدركت كم يخطيء الأولاد في تخمين أعمار الكبار. ففي ذلك الوقت كنت أحسبُ موريبيون عجوزاً. وأصنّفه من الأجساد المتداعية. والحقيقة أنّه لم يبلغ حدّ التداعي إلّا اليوم، ذلك الجديّ البائس.

صلعته النظيفة المحذبة تتعصّن في مواضع كثيرة. أما أطرة

(*) حي ارستقراطي في باريس.

شعره الأشقر فقد استحالت رماداً أو بلوته. ثقلت أجفانه وبَدَل
نظاراته ذات الاطار المذهب بأخرى من قشرة العاج. له رأس بحجم
قبضة اليد ويبدو أكثر شحوباً من دعوة لعرس.

شيء واحد لم يتبدّل فيه: زِيَه المضحك. إذ يَحَسِبُ ناظره أنه لا
يزال يرتدي بطاله الداكن ذا الثنيات العريضة، وياقة السلّولويد
البيضاء إيّاها فوق قميصه المرتّق الأزرق وربطة العنق الرقيقة
السوداء وردقيه الطويلين اللذين يصلان الى أطراف أصابعه.

- إذاً، ها أنت يا صديقي الصغير! قال بصوته المخفّض المتأني،
لقد تبدّلت كثيراً منذ أيام المدرسة!

صافحت يده الصغيرة الدافئة ثم دخلت الى منزله.

كان الداخل أشبه بما يفوق الوصف. إذ ينبغي أن يكون المرء
مريباً عجوزاً بالفعل لكي يلوذ بمثل هذا الوكر. يكاد الأثاث أن
يطلق منهاراً تحت ثقل الكتب. كتب مكدّسة على الأرض، واكداس
أخرى في الرواق. أشبه بنقرس فتاك يلتهم كلّ شيء. أطمأز مهمة
هنا وهناك، ثياب داخلية متسخة، أوعية ملطخة ودبقة تتكدّس في
مواضع قد لا تخطر في بال أحد.

ولكن ما هو أسوأ من الفوضى، والذي يصدم الزائر بعنف، هو
الرائحة. وسرعان ما قطنّت لمصدرها إذ رأيت نصف دزينة من
القط تقعد هانئة فوق فضلاتها الموقرة.

- البيت لم يُنظف منذ بعض الوقت، أنذرتني مورييون، لذلك
أرجو المَعذرة. لقد عدتُ هذا الصباح من المستشفى.

- ما الذي أصابك؟

– انسداد حاد في المسلك البولي.

– وهل كان الأمر موجعاً؟

– في البداية لا تشعر بشيء، ولكن الأعراض سرعان ما تظهر تدريجياً. تبدأ بخدر بطيء وكامن في المسلك ورأس القضيب، ثم سرعان ما يؤدي ذلك الى انخماص القضيب كلياً. وعندما أجرى البروفسور بانديمو الجراحة كنتُ على وشك أن أصاب بما يسمى القذف المقلوب.

وفيما يواصل الشرح حول أعراض مرضه، كان موريون يُخلي إحدى الكنبات من الكتب والقطط والبراز.

– تفضّل اجلس يا صديقي الصغير. هل أقدم لك شراباً ما؟

– بكلّ سرور، قلت مرحباً.

وانفتحت مثل مهرجان مائي يُقام على القناة الكبرى.

– لو علمتُ أنك ذات يوم ستقدم لي كأساً، أقول.

– وأنا أيضاً، يجيب موريون مبتسماً، لو توقعتُ أن يصبح أكثر تلاميذي طيشاً أحد المجلّين في سلك الشرطة. كيف اهتمدت الى هذه المهنة؟

– خلال الاستراحات المدرسية كنا نلعب لعبة الدركي واللصّ، وكنتُ العبُ دائماً دور اللصّ، لذلك أردت أن أصبح شرطياً رغبةً في التغيير...

يبتسم.

– أحسب أنّها مهنة، أقصد ما تفعله؟ قال مُتعبجاً.

- ليست تماماً، ولكنّها تسلية لا بأس بها. تسلية نجازف فيها بحياتنا.

اهتدى موربيون الى كأسين متسخين وقال مظهراً لامبالاته، الحياة، يا صديقي الصغير، ليست بالصفقة الكبيرة، فهي مُستحيلة على هذا الكوكب إلا بين عشرين درجة تحت الصفر وأربعين درجة فوق الصفر. والحال أن الشمس التي تضمناها لنا تبثُ خمسة ملايين درجة! عندئذٍ تدرك مقدار هشاشتنا. يكفي أن تقوم هذه اللعينة بانزلاقة طفيفة نحو هذه الجهة أو تلك فيستحيل كوكبنا العتيق الى جليدٍ أوماد.

يسحب قنينة من سلّةٍ تحتوي عدداً من الأشياء الغريبة ويملا كأسينا.

كنت أودّ أن أمسح حافة كأسٍ بمنديلي قبل أن تمسه شفّتاي، إلا أن موربيون عاجلني بالنخب. - نخبك، يا صديقي الصغير.

تبادلنا الأنخاب وتمالكت نفسي. وأنا أقطب حاجبي باشمئزاز من مذاق الكأس.

- ليس رديئاً، اليس كذلك؟ يسأل موربيون.

- بل فالخر، قلت مزيداً، وما نوعه؟

يُدير القارورة نحوي. وعندها فقط أدركت أنّه سائل تنظيف. فلفتُ نظر أستاذي العجوز الى حقيقة الأمر فأجاب بهز الكتفين.

- لا يمكن لهذا الشراب أن يضرّ بنا. وكرع كأسه جرعةً واحدة. فأخذت أتساءل حول غرض موربيون من استدعائي. فإلى الآن لم

يكف نفسه عناء الافصاح عن غرضه. وعندما لاحظت أنه يتجاهل الموضوع، بادرت الى سؤاله فارتسمت على وجهه ابتسامة تواضع.

- إني أدبيّ الميول، ومع ذلك لا أحبّ الغموض.

ويلمُ زراً من أضرار قميصه وقع للتو من قميصه معبراً عن نزعته الانفصالية عبر تدحرجه الرشيق فوق الأرضية وتابع قائلاً:

- عندما عقدت العزم على دخول المستشفى، يقول مشرّحُ باسكال متمتماً، أوكلتُ صديقهَ عجوزاً برعاية القطط، ثم أوصدتُ باب شفتي وُدستُ المفتاح في جيبي...

ويرمقني كأنه لا يريد المتابعة..

- إذأ؟ ورحت أحثّه على المتابعة مدفوعاً بفضولي.

وفجأة يمتلئ نظره الكئيب ببريق سذاجة لا توصف.

- إذأ، يا صديقي الصغير، لقد أمضيتُ شهرين كاملين طريح الفراش في المستشفى ولم أعد الى وكري هذا إلا هذا الصباح. وقبل ذلك ذهبت الى صديقتي لاستعادة رفاق عمري، يقول مشيراً الى الكائنات ذوات المخالب! ونصل جميعاً الى البيت مُبتهجين بلاقنا بعد انقطاع، فلا أكاد أدخل حتّى تملكني الذهول...

- ماذا؟ صرخت سائلاً.

يرفع يده كما كان يرفعها في الماضي لفرض السكوت.

- شيء ما غير محدّد، أقلقني.

- ماذا؟ عاودت سؤالي وأملي أن يكون بنبرة أقرب الى صوت الضفدع منها الى صوت الغراب.

- تكتكة، يُجيبني سريعاً بالمثل.

- قنبلة؟ أسأل راجياً.

وعند طرف ردفه تعزفُ أصابعه طقطقة رتيبة وعصبية فوق المنضدة.

- لا: الساعة!

ويُشير بيده الى ساعةٍ صغيرة من طراز نوشاتل فوق حافة الموقدة.

- وإذا؟ أقولُ فاعراً فمي.

تمتلئ عيناه بنظرات الاشفاق.

- لك سمعة مرموقة في سلك الشرطة ولا تستثيرك مثل هذه الاعجوبة؟ يقول موريون هازئاً.

- ولكن أي أعجوبة؟

- هذه الساعة الدقاقة يجب أن تعباً كل ثمانية ايام. وباب شُفتي لم يُفتح طيلة شهرين. ولا يُعقل أن تدور الساعة كل هذه المدة، فكيف حدث ذلك؟...

- أعتقد أن أحداً ما قد تسلل الى شقتك اثناء غيابك؟

- ليس هذا المرجح. الديك تفسير آخر؟

- ربما، أجيّب. لنفترض أن ساعتك قد توقفت بعد رحيلك بقليل، ثم عاودت دورانها عند عودتك...

بهرً كتفيه الهزيلتين.

- يا صديقي الصغير، ما تقوله هو محض تشكيك بالقدرات

السويسرية، وما أقوله محض تشكيك بالشرطة. إذأ أنت تعتقد أن
ساعاتي تتوقف عن الدوران فور مغادرتي البيت ثم تهرع لاستئناف
دورانها فور عودتي؟ أمرٌ غريب فعلاً!
إنه يضجرتني، هذا المورييون، بسخريته اللاذعة كمسطرة
الحساب.

- اسمع يا أستاذي، أقولُ في هجومٍ مضاد، يحدث أن تتوقف
الساعات عن الدوران، أليس كذلك؟ لنقل أن ساعتك أصيبت
بتوسعك. فتتوقف عن الدوران. ثم تعود من المستشفى، والقطط
المفرطة في تجولها من حولك، على ما أرى بعيني هاتين، ترتطم بها
فور عودتك فتكون الصدمة الطفيفة كقيلةً بإطلاق دورانها من
جديد. حُجة مقنعة!

- لا

- لا

- لا

- بوركو^(*)؟ على حد قول الانكليز عندما يأنفون استخدام كلمة
بيكوز^(**)؟

بدأت عينا مورييون تتقلبان في محجريه.

- لأن الساعة كانت تشير الى الساعة المضبوطة، يا صديقي
الصغير. لا بد إذأ أن تعترف أن المصادفة تفرط في أعاجيبها حين

(*) Pourquoi = لماذا.

(**) because = لأن أو بسبب.

تعيد الساعة المعطلة الى دورانها في التوقيت نفسه.

- بالطبع، يا حضرة الأستاذ. إذاً لننظر الى المسألة من وجهة مختلفة، لقد دخل أحدهم الى شقتك أثناء غيابك. ولماذا لا تكون الحاجة؟

- لا تملك مفتاحاً للشقة. ومع ذلك سألتها، الأمر الذي أغضب امرأة يوقارها. لا، يا صديقي العزيز، إن حارستي الشرسة لم تطأ هذا المكان.

- هل لاحظت أثر كسرٍ وخلع؟

- لا.

- هل فقدت شيئاً من مقتنياتك؟

فيهزّ كتفيه الهزليتين.

- وما عساهم يسرقون؟ لا أملك إلا الكتب.

يسكب لي جرعة أخرى من السائل المنظف، وبحركة عفوية أشربها.

- لنفكر قليلاً يا حضرة الأستاذ، أقول: لماذا، بحق الشيطان، قد يتسلل أحد ما خلسةً الى شقتك؟ أيكون دافعه الوحيد هو أن يعبّئ ساعتك؟

- بالضبط، هنا يكمن اللغز! يقول مورييرون وقد بُحّ صوته فجأةً. إن علامة الاستفهام هذه هي التي دعنتي للاتصال بك، يا صديقي الصغير. لماذا جاء أحدهم الى منزلي أثناء مدة غيابي؟ ولماذا عمد الى تعبئة ساعتي؟

الا تجدون أن الموقف طريفٌ يا أصحاب؟ يتّصل أحدهم

بالشرطة ويقول: «أريد أن اعلم مَنْ عبأ ساعتني أثناء غيابي في المستشفى!».

- من يفعل ذلك يستحق أن يوضع في قفص الطيور وعرضه للعموم عند رصيف «لا ميجيسوري»، أليس كذلك؟

- ألم تعثر على أي أثر مشبوه؟ سألته مراعاةً للشكليات.

ينبغي الاعتراف أن الآثار المشبوهة في مستودع الحاجيات هذا قد لا تسترعي الانتباه، كما لا يسترعي انتباه المارة وجود الحرس أمام قصر الأليزيه.

- لا، لم أعثر على شيء، يقول موربيون مبتسماً ولا بد أنه قطن لما عقدته بنات أفكاري من التشبيه، لا، كانت هذه الفوضى كما تركتها، لم تمسها يدٌ أوريجل.

- وهل عبأت الساعة؟

- أجل، كيف أتتبت من الأمر. لم يدور مفتاح التعبئة سوى بضع دورات. وحسب تقديري أنها عبئت منذ يومين أو ثلاثة.

- أسمح لي بتفقد شفتك؟

- إفعل ما يطولك!

يتألف «قصر» موربيون من حجرتين ومطبخ وحمام. وثمة كتب مكدسة في المغطس وفوق طاولة المطبخ ورفوف المدخل وجرن المرحاض والمغسلة. تفحصت الأرض والجدران والسقف. ولم أتبين شيئاً. إنه الإخفاق، يا إخوتي. والكلام في سركم، لا بد أن الأب موربيون بات حافي الذهن. فلطالما كان استاذنا العزيز شارد الفكر، خلق الطاسة، فلقد رأيت، بأم عيني، مراراً وقد زرر فتحة

بنطاله كُلَّ رَزٍّ في عروّة الآخر. وعندما يخطر له أن يملأ قلمه بالحبر تكون المسخرة، لأن المحبرة تندلق فوق رزمة من المسابقات. ورأى أنه حين عاد منذ بعض الوقت الى منزله عبّاً ساعته ساهياً عما يفعل، وبعد ثوانٍ نسي تماماً وراح يفسّر الأمر بأنه أعجوبة! يا لك من رجلٍ ظريف يا موريبيون، دعك من كلّ هذا! رجلٌ بمثل سنك، لا بدّ أن الحياة قد أصبحت بالنسبة لك ذات أبعادٍ أخرى.

بعد التثبّت من أن الأمور على خير ما يرام في جُحر هذا العجوز الخرف، بدات أهمُّ بجرّ نفسي الى الخارج، ذاهباً كما جئتُ، بخفي حنين.

.. سأفكر ملياً في مشكلتك، يا حضرة الأستاذ. أقولُ واعدأ.

فيرمقني بنظرة شكّ.

.. يا صديقي الصغير، إنني اعلمُ بالضبط ما يدورُ في خَلْدك.

رعيشة خفيفة تسري من نعليّ الى نخاعي مروراً بأسفلِ ظهري.

.. حقاً! أقولُ بانساً.

فيطلق موريبيون نغماً أشبه بضحكة طفلٍ حزين.

.. تقول في سرك الآن إنني رجلٌ خرف، يضيفُ موريبيون قائلاً،

وتقول في سرك أيضاً إنني عبّأت الساعة بيدي ثم سهوت عما فعلت، اليس كذلك؟

.. لا، على الاطلاق، أقول مُعتزضاً محاولاً أن أخفي ذهولي.

.. اسمع يا انطوان، قال موريبيون بنبرة توبيخ، ما زلت لا تجيد

الكذب كما كنت في صغرك. الضفدع الذي وضع في محفظتي، كنت أنت الفاعل، أليس كذلك؟

- ولكن يا حضرة الأستاذ، أقول مُتْلَعِثَماً، مُسْتَعِيداً بذلك روحية التلميذ الأحمق.

- المسألة قديمة، وانتهت بتقادم الزمن، يقول موربيون متنهّداً، إذاً اعترف!

- حسناً، كنت أنا الفاعل.

- والسائل اللاصق على الكرسي؟

- ريمًا كنتُ أنا الفاعل أيضاً، أقول معترفاً.

- وسائل المبتيلين الأزرق في معجاة اللوح؟

- ما عدتُ أذكر، يا أستاذ.

- أما أنا فأذكر جيداً: لقد أفسدت بذلتي.

وراح يضغط باصبعه الممدودة على صدري كأنها مخزن.

- والآن إعرف أنك تحسبني رجلاً خرفاً؟

- أبدأ، على الإطلاق، يا حضرة الأستاذ. فقط أحسبُ أنك كثير

الشroud. الا تذكر ذلك اليوم حين شرحت لنا درساً للصف الثاني المتوسط وقد نسيت كلياً أننا في الصف الثاني الأول؟

- طبعاً أذكر، يغمغم موربيون قائلاً.

- ويوم ارتديت ياقتك المستعارة ومعطفك دون أن ترتدي قميصك؟

- أحدث ذلك فعلاً؟

- يا أستاذ، عندما يسهو المرء عن ارتداء قميصه، يُصبح من الممكن أن ينسى أنّه عبّاً ساعته بيده. هيّا، لا تقلق. المهم أنّ شيئاً من مقتنياتك لم يُفقد ومددت له يدي قائلاً:

- سأغادرك الآن. وحالما تعترضك أي مشكلة لا تتردد في الاتصال بي. لقد سُروّت بِلَقائِكَ. وللمناسبة أما زلت تزاوّل التدريس؟

فيغمز بطرف عينه ويقول:

- لقد تقاعدت منذ أربع سنوات؛ إنني أعطي بعض الدروس إحدى المدارس الداخلية الدينية؛ لكي لا أفقد لياقتي.

- ملحدٌ عتيقٌ مثلك! أقول مُستهجناً.

فيرمقني بعينه المكّارة.

- اطمئن، معظم دروسي تدور حول فولتير وروسو وكارل ماركس.

تبادلنا تحية الوداع وهرولت مسرعاً الى مقرّ الحاجة فرايت هذه السيّدة المقدّامة منهمكَةً بتنظيف زجاج حجرتها بواسطة خِرْقَةٍ من جلدِ جَمَلٍ ميت. فبادرتها بجفاء.

- أخبريني يا سيّدتي العزيزة، اتعلمين أن الأستاذ موربيون يرتاب بأن شخصاً ما قد تسلّل الى شقّته خلال فترة غيابه؟

- أعلم، تجيبُ المرأةُ بنبرةٍ متعجّفة.

- أود الاستئناس برأيك أنتِ حول هذا الأمر.

- وهل أنت أحد أقربائه؟ تسأل.

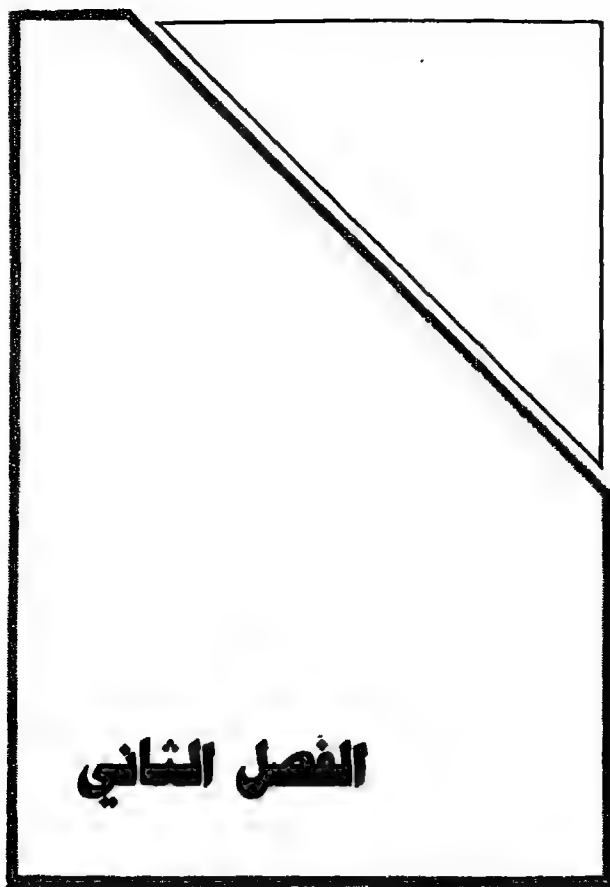
- لا.

- إذا هذا هو رأيي!

فتضع سبابتها على صدغها وتبرمها مرتين كأنما تجرّب مفتاحاً
في قفل خزانة جملطاتها الالتهابية.

- شكراً على المعلومة، أقول بنبرة تهذيب مفرط.

وأغادر المبنى مغتبطاً إذ تنشقت رئتاي مجدداً هواء باريس بعد
أن اتخمتُ بالمناخ المويء في دارة موربيون.



الفصل الثاني

سيّارتي الجكوار طراز E مركونة على بعد بضعة أمتار من
المبنى. وبينما كنت أصعد الى مقعدي خلف المقود، رفعت عيني
المتوقّدين ذكاءً نحو نوافذ دارة موربيون. لقد أثارني هذا الرجل
الطيب الذي انبثق فجأة من الماضي ما لا يسعني وصفه من الأوتار
الحساسة - اعترف لكم - حتّى اغرورقت عيني بالدموع.

كان وجهه الممتّع الصغير يرسم ظلّاً اشبه بلطخة خلف الزجاج
المتسخ المغطى بنسيج رقيق. أشرت اليه بتلويحة وداع لا يراها
بسبب نظاراته. اندرت المحرك فيصهل الاثنان والعشرون حصاناً
تحت غطاء السيارة. ولكنني في لحظة الانطلاق انتابني رعدة
مباغتة، ففي اللحظة التي كنتُ فيها ألوح بيدي مودّعاً موربيون
كما المَحْتُ أعلاه، تلقّى وعيي المتيقظ أبداً لما يدور حولي، اشارة
تفصيل غريب. وفي غضون عشر الثانية انتقلت الاشارة الى ذهني.
فأوقف المحرك، وألقيت نظرة مُتمعنة في اتجاه الطبقة السادسة
فرايت قطعة شريط أبيض وقد ربطت بحاجب النافذة تلوح مطمئنة
على وتائر النسائم الربيعية. فأمعنت النظر قليلاً ثم تاه نظري الى
الاعلى، الى ما فوق السطوح، الى الغيوم الحدياء التي تجعل الأفق
بلون الجنازة.

وهناك اقرا الحقيقة. مورييون لم يخرف. فما الذي يجعلني
مقتنعاً بصدق روايته، فجأة، بعد أن حسبت أقوال الأستاذ
العجوز مجرد تخريف عجائز؟

غادرت سيارتي كمعتوه وصعدت مجدداً الى شقة مورييون.
ولاجده هناك على العتبة كأنه يتوقع عودتي.
- كنت أعلم أنك ستعود؟ قال لي.

- حقاً يا أستاذ؟

- لطالما عرفتكم كما أنت، يا انطوان. فردّ الفعل الأول عندك يكون
خاطئاً على الدوام. ذلك أنك تبادر الى الفعل ثم تفكر. ولم تهبطت
طبقات إلا وقد أدركت أن الأب مورييون قد يكون شارد الذهن إلا
أنه ليس خرفاً!

وبدل أن أجيبه، تقدّمت مباشرة نحو النافذة. أفتحها وانتزع
الشريط. انه شريط عادي من النوع الذي يستخدمه باعة الحلوى
لترزين علب زبائنهم.

- هل انت من ربط الشريط بحاجب النافذة، يا أستاذ؟

يهزّ كتفيه.

- أتمازحني؟

عندئذ لففت شريط الحرير حول إصبعي ولاحظت أنه ليس
متسخاً جداً مما يؤكد أنه وضع هناك منذ وقت قريب.

يحتضن مورييون قطعاً رمادياً كبيراً ويداعبه بحدود أن يحيد
بنظراته عني.

- هل شاهدت هذا الشريط من الأسفل؟

- أجل.

- أرايت يا صديقي الصغير، أنا واثق من أن أحداً ما قد تسَلَّل إلى شقتي. ليس فقط بسبب الساعة. بل بسبب الرائحة، فما إن دخلتُ إلى الشقة حتَّى طالعتني رائحة غريبة... غير مألوفة.

- ذلك أنَّ القبط لم تزرع الغرفة ببرازها طيلة شهرين!

- لقد أدركت ذلك، يقول موربيون موافقاً، ولكنَّ ما أقلقني هو شيء آخر. فما لفتني ليس غياب رائحة مألوفة، بل طغيان رائحة غير مألوفة. غير مألوفة و... كريهة. رائحة حَرْيفة...

تنشَّقتُ الهواء من حولي، ورغم أن جمهرة الضيوف من تلك القبط قد لوَّثت أجواء الشقة، فقد شعرت فعلاً أنني اشتَّمُ أثراً لرائحةٍ أخرى.. أثراً لرائحة...

- يا استاذ، اغمغم قائلاً. أعتقد أنَّك على حقّ... هناك رائحة بارود!

- بارود؟ يقول مذهولاً.

- على ما يبدو لي... إنها الرائحة التي أعرفها جيّداً.

تنشَّقت من جديد. أهو تأثير مخيلتي؟ لا أعتقد.

يضع موربيون نظاراته.

- يا للطامة الكبرى، لو أن أحداً ما أطلق النار في شقتي لبدت الآثار واضحة، اليس كذلك؟

- ليس إذا جمعت الرصاصات الفارغة، يا أستاذي.

- ولكن... الرصاصات؟

- ربما أطلقت الرصاصات من شقَّتكَ على شخصٍ ما في الخارج.

تقدمت الى النافذة واطلَّتُ على الشارع فكان ساكناً مغرقاً في هدوئه المعتاد.

- ولكن الطلقات النارية تُحدث صوتاً مسموعاً! يقول موريون من ورائي.

- ليست مسموعة جداً إذا زوِّد المسدس الذي أطلقها بكامر للصوت!

وتستكشفُ نظراتي المُحترفة الرصيف المقابل. وأرى بوابة ضخمة وقد علتها سارية بلا يرق، وقد نُيِّت على قاعدة السارية قرص حديدي. من حيث أقف لا أستطيع تمييز الحروف المرسومة عليه.

- أهو مبنى سفارة يا سيّد موريون؟

- لا، إنها القنصلية العامّة لدولة اليابان^(٩).

- آه...

اجيل بصري متعمّناً في واجهة المبنى. وأعترف انها بدت لي مجردة عن الشبهات.

(*) ليس المقصود هنا اليابان برغم تشابه اللفظ (م. ع).

انها واجهة بناء باريسي من الحجر المنقوش، تتخللها نوافذ عريضة ذات مصاريع، وقد أغلق مصراعاً إحداها.

- والقنصلية تقع في أيّ طبقة من طبقات المبنى؟

- الطبقة الثالثة، يجيب موربيون.

أي الطبقة التي أغلقت نافذتها.

هممت بالمغادرة ولكنّ شيئاً ما استرعى انتباهي، ولن أبوح به حرصاً على التشويق.

- ألا تملك منظاراً يا سيّد موربيون؟

- لدي منظار صغير يستخدم في المسرح.

- هلأ أحضرته لي؟

فيحك شحمة أذنه كمن يرضخ لأمر ويياشر البحث عن هذه الأداة البصرية الثمينة. يجدها في مطبخه داخل وعاء خزفي كتب عليه «طحين».

إنه منظار صغير صنعت أطره من قشرة الصدف، متواضع الأداء لكنّه يقربُ المسافة بعض الشيء. فانهمك بمراقبة المصراعين المغلقين. ومن خلال الفرجات الأفقية بين الألواح، الملحُ بقعةً بيضاء في الداخل. فأبذل ما بوسع مقلتي لتحديد هذه البقعة، ويحالفني النجاح. إنها مربعة وتحتل القسم الوسطي من الاطار. لا مجال للخطأ: إنها قطعة كرتون وضعت في مكان لوح زجاج مكسور. ولن يُدهشني أن يكون لوح الزجاج هذا قد تحطم وتناثر بفعل طلقة واحدة أو بضع طلقات.

أعيد المنظار الى موريون.

- هل توصّلت الى شيء ما يا صديقي الصغير؟

فيخبره صديقه الصغير بما توصّل اليه. فيهرّ العجوز رأسه مرتين متتاليتين ما يعني لديه أنه استغرق في تفكير عميق.

- إذا أنت تقترض أن شخصاً ما قد تسلّل الى شقتي لكي يُطلق الرصاص على القنصلية في المبنى المقابل؟

- بالضبط، يا أستاذ. فثمة من علم بغياييك عن الشقة فدخل اليها وكمّن فيها نظراً لموقعها الاستراتيجي.

- أوتعتقد ان الفاعل قد قتل أحداً ما؟

- ربّما. أعتقد انك وقعت على قضية غريبة.

يمكث موريون ساكناً. انه فيلسوف عجوز لا يرى في الحياة إلا عطلا «زانفة» في يوم ممطر. والبشر، كالتلاميذ، يحتشدون تحت سقيفة يرتعدون برداً ويراقبون انهمار المطر بانتظار العودة الى أقبيتهم، تحت الارض.

- والجاني هو الذي ربط الشريط وعبأ الساعة؟

- على الأرجح.

- أيامكانك تفسير هذين العملين الغريبين بعض الشيء؟

- ليس بعد، يا أستاذ، ولكن قد أستطيع لاحقاً.

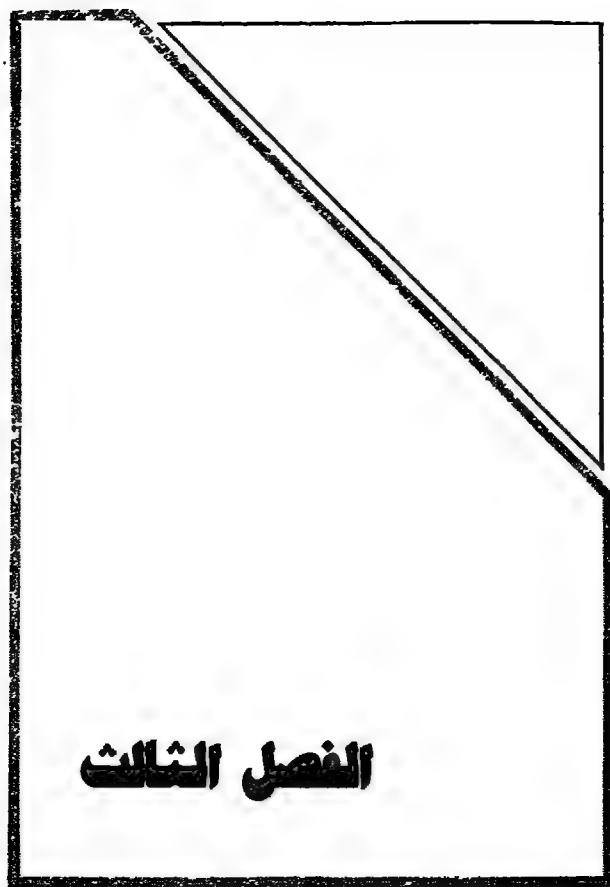
وأمدّ له يدي مجدداً.

- والآن أغادرك. أرجو منك أن لا تطلع أحداً على هذه القضية.

- ماذا ستفعل؟

- سأفكر.

لم تفاجئه نزعتي الاقتضابية. فاحتضن أحد قططه بين ذراعيه
ورافقني الى العتبة مداعباً فروة ذي المخالب.



اصغى العجوز الى كلامي دون أن ينبس ببنتِ شفة. مستقيماً
في جلسته، يده مبهوطةتان فوق الورق النشاف وعيناه بلونِ بحار
الجنوب؛ يبدو مُستغرقاً في شروده.

- إنه أمرٌ مثيرٌ للاهتمام، يقولُ في آخر المطاف. انت ترى إذاً أن
احداً ما قد أطلق النار على نافذة القنصلية؟

- أجل، يا سيدي المدير.

- لم نبلغ بأي شكوى... انت تعلم جيداً أن علاقتنا مع الابانيا
ليست في افضلِ حال؟

احاول أن اتتبع تعرّجات افكاره.

- اتعتقد أنها محاولة اغتيال سياسية؟

- اعتقد.

- يفضل جماعة القنصلية أن يتكتموا على الامر؟...

- والبرهان...

يسود بيننا صمتٌ أطول بقليل من لفيفة شريط لاصق. ثم يبدأ
الحيزبون بعزف اصابعٍ منفردٍ على الطاولة.

– عليك أن تتولى القضية يا سان أنطونيو. ولا تخذلني.

– بأي صفة يا سيدي المدير؟

واقولُ هذا لاحته على الردّ لأنني أعلم سلفاً بماذا سيجيب.
وبالفعل لم يجعلني أنتظر الجواب طويلاً.

– بصفة غير رسمية طبعاً. ولكن، أطلعني على المستجدّات دائماً.

– سمعاً وطاعة، أيّها الرئيس!

– وأغادر مكتبه بعد تحية شبه عسكرية. فيصفق باب مكتبه
المبطن بالجلد قفّايّ كأنّه يحثني على الحركة.

أعودُ إلى داري مُستغرقاً في التفكير كمنحوتة رودان. وأجد بيرو
وبينوش يلعبان البوكر ويحتسيان الخمر. لقد وصلت في الوقت
الذي يحقق فيه السمين بكاريه دام أرباحاً ويكاد يقفز فرحاً.
– لطالما كانت الشقيقات الصغيرات جالبات حظّي، يؤكّد الرجل
البدين.

ودون أن اعير لعبتهم أي انتباه، أرفع سماعة هاتفني لاتصل
بالمختبر. ويردّ مانيان.

– قل لي يا صديقي الصغير، أبادره القول، مُستعيراً عبارة
موربيون، أليس في فريقكم مَنْ يستطيع تركيب لوح زجاج؟

يربكه سؤالِي.

– يركّب ماذا؟

– لوح زجاج لنافذة مكسورة. إذ ينبغي قطع الزجاج وفق

مقاييس دقيقة ثم لصقه ... الخ. باختصار، ينبغي أن تكون له
خبرة ودراية في مثل هذه الأمور.

يطلق سائنان من فمه صوتاً يُطلقه آخرون عادةً من موضع آخر.
- لا، ليس في عداد فريقَي أي زجاج ...

- يا لخيبة الأمل!

- ليس بإمكان المرء أن يُجيدَ صنعَ كلِّ شيء، يُجيب الأصهب
معتزلاً.

أضع السماعاة. وعندئذٍ يلتفت بيّنو المحترم نحوي.

- إذا كان الأمر يعينك بشيء، يقول، فاعلم أنني أجيد تركيب
الواح الزجاج، يا سان أنطونيو.
- حقاً؟

- لقد عملتُ في صباي في مؤسسة للدهان وتعلّمت هناك كيفية
استخدام القاطعة الماسية.

- عظيم، أيها العجوز الطيّب. إذأ، الى العمل!

- مهلاً! يصرخُ الرجل البدين نائراً. أكادُ أسجلُ نصراً باهراً على
هذا السيّد ولا أريده أن يمسّ الحبالَ قبل تثبيت الكتفين..

- انه نداء الواجب، يا بيروا

وفي حركة استياء يرمي البدين بأوراق اللعب نائراً إيّاها في
أرجاء الحجرة.

- كلّما تقدّم بي السنُّ يزداد شعوري بالضيق من هذه المهنة!

يقول جازماً . فإذا كنّا لا نحظى بعشر دقائق من الراحة ، فلا بدّ أنها
نهاية العالم !



بينوش في زيّ زجاج ، مشهُد لا يَفُوت . فعندما يشعر أولادكم
بالضجر أيام الأحاد ، ليس عليكم إلّا الاتصال بالرجل المسنّ لكي
يؤدي نمرته المسلية .

بينوش يرتدي سترة زرقاء ويعتمر كسكيت سائق شاحنة أميركي
مع عقب سيكارتة الأصفر الذي لا يفارق شفتيه ، بينوش يحمل
بخفة حمالة خشبيّة رصفت عليها الألواح الزجاجيّة من كافة
الأحجام . ينعطف عند زاوية الشارع ويتجه نحو القنصلية العامّة
لدولة الابانيا مُزوّداً بتعليماتي . ذلك أنّي أعول كثيراً على مظهره
الأبله لتبديد أي شبهة حوله . إذ ينبغي أن يُقابل القنصل زاعماً أنّه
استدعي بواسطة الهاتف . قد يعود خائباً . وقد يحدث أيضاً أن
يستقبله موظف قليل الحيلة والحذر ويقوده الى الحجرة ذات
الألواح الزجاجيّة المحطمة . وفي مثل هذه الحال يكون على المحترم
أن يستبدل اللوح المكسور وأن يتفقد في الأثناء - خلسةً - أرجاء
المكان .

خلف مقود سيّارتنا المركونة على مقربةٍ جلسنا ، حضرته وأنا ، في
انتظار تنمّة الأحداث .

كفّ الرجل البدين عن شكاويه وراح يراقب بعين الحنوّ خيال
رفيقه التحيل .

- بينوش ليس بالرجل الرديء، يُتمتم قائلاً؛ ونقيصته الوحيدة
أنّه لا يملك القدر الكافي من الحيوية.

يتوارى الشخص الموصوف بالعبارة السابقة داخل مبنى
القنصلية.

- أوتحسب أن شُجعانك في الداخل سيبتلعون الطعام بسهولة؟
يسأل الرجل البدين.

- لست أدري، أزرُق قائلاً. ففي هذه القضية أكاد لا أتمسّ
طريقي. مجرد افتراضات. كلُّ شيء غامض. ثم إنَّ العمل في أوساط
السلك الدبلوماسي أمرٌ بالغ الدقّة.

تمرّ ثوانٍ. فيسحبُ بيرو من جيبه نصف اصبعٍ نقانق ويروح
يلوكها بأناةٍ وتلذذ.

- إنها فضلة طبق «الشوكروت» الذي لم أستطع، لوسامته، أن
أجهز عليه ظهراً. يقولُ شارحاً الموقف.

الكزه بضربةٍ من مرفقي، إذ فُتحت مصاريع النافذة في الطبقة
التي تحتلها القنصلية.

- يبدو أنّه استطاع أن ينال منهم! يقول بيرو مغتبطاً.

وبالفعل، بعد ثوانٍ، يظهر بينو من خلال النافذة. ومن بعيد أراه
يطرق بقايا المعجون بمطربة دقيقة الرأس لكي ينزع الإطار
الخشبي من مكانه. أراه يعمل جاداً وقد اعتلى كرسيّاً كأنّه بضرباته
الخفيفة المتسارعة يقلّد نقار الخشب. ونقراته تنتهي الى مسامعنا
برغم ضوضاء المازّة والعربات.

عندما اتمّ تجهيز الإطار، ترجّل بينوش من مكانه ريشاً يقطع

لوح الزجاج . فيتوارى عن مجال بصرنا . كم يُضني الانتظار! أمل أن يكون عجوزنا العزيز قد استغل الفرصة جيداً . قد يكون بليداً بعض الشيء ، صاحبنا بينوشييه ، لكنه يمتلك عين صقر عندما يقتضي الامر . ولا يغفل عن شيء اللهم إلا بعض القرقرة المعوية .

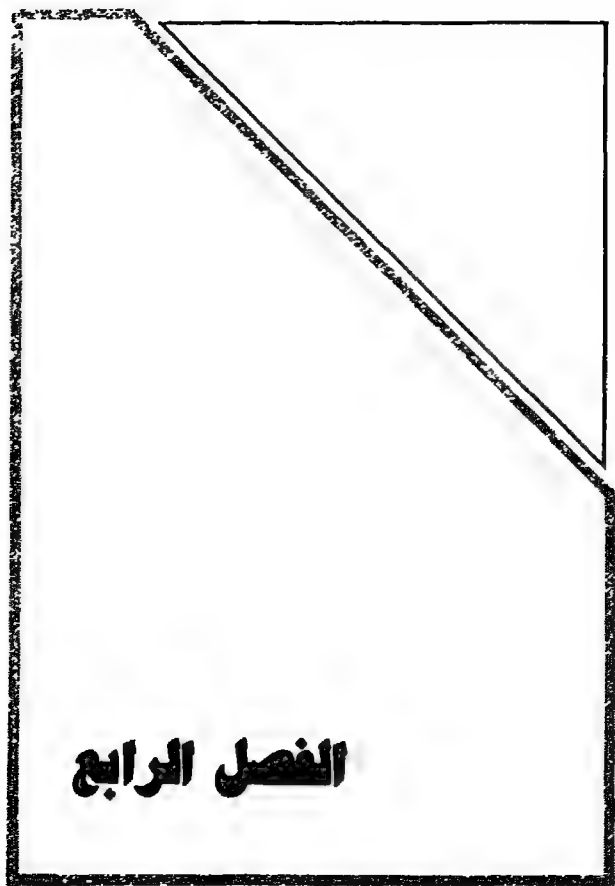
ينقضي وقت ليس بالقصير . وها هو يعتلي كرسيه من جديد حاملاً بين يديه لوح زجاج جديد . ينحني قليلاً لتنشيط اللوح في إطار النافذة ، وفي اللحظة عينها يفقد الرجل الوقور توازنه . فيسقط اللوح من يديه ويتحطم : أما هو فيخبط ذراعيه في الهواء متمالكاً لكنه سرعان ما يهوي من فوق حاجز النافذة . نطلق ، بيرو وأنا ، صرخة أسي وعجز ويأس . سقطت حرة من علو ثلاث طبقات ، فلا بد أن الامر يؤدي الى الوفاة .

الوداع يا بينو! يدور عزيرنا المسكين حول نفسه في سقطة مباشرة . وفي الشارع يتعالى صياح المارة المحتشدين . أغمض عيني . أرفض أن أرى المنظر . أريد أن اغيب ، أن ابتعد عن هذه الواقعة الاليمة ، لا أريد أن أرى بينوش يموت ، أو أن أسمع صوت تحطم عظامه فوق الرصيف .

وعندما افتح عيني ، الملح كتلة داكنة مكومة على الأرض ، وقد احاطت بها جمهرة نهمة تعشق الانفجالات القوية . ينطلق بيرو كالعتوه . وصدّقوني إن شتتم (وإلا فاذهبوا لاقتعاد واقية الصواعق عند الناصية) وهنت ساقاي وخارتا . يستحيل تحريكهما . لا أحسّ بهما على الإطلاق . فأسند جبيني الى المقود . وكم أودّ أن أبكي . بينوش ، بينوش صديقي الطيب ... يا لنهايته الفاجعة ، وبسبب اوامري ! امكث على هذه الحال لبعض الوقت . ثم يعود بيرو .

- لقد مات، قُتل على الفور...
- رعدة برودة، أشبه بدرجة الصفر، تسري في أوصالي.
- مستحيل، أقول مُتلعثاً واهناً.
- للأسف، غمغم الرجل البدين، أما بينوش فأعتقد أنه أصيب بكسر في الكتف.
- كيف؟
- لقد سقط فوق أحد رجال الشرطة. وهذا ما خُف من وطأة ارتطام بينوش بالأرض. وبعد الذي جرى لا يمكن القول أن التنسيق مفقود بين أجهزة السلك، أليس كذلك؟
- وتقول إن بينو قد نجا؟
- قلت لك الكتف... حتى أنه لم يفقد وعيه... فماذا نفعل الآن؟
- لا شيء في الوقت الحاضر، أقولُ جازماً. لنُدع الأمور تأخذ مجراها الطبيعي.
- يا لبرود أعصابك، يا أخي!
- سيتولى مخفر الشرطة المحلي التحقيقات بهذا الشأن. وسنتصل بهم لاحقاً. يجب أن نعمل في الخفاء، أيها السمين.
- وماذا عن بينو؟
- هاك سيارَة الاسعاف. سيتم نقله الى المستشفى. وسنوافيه الى هناك.
- كما تشاء، ولكن لن نتمكن من إقناعي أن الحادث مجرد قضاء وقدر.

- في الظاهر بلى. فقد كان بينو واقفاً على كرسيّ وليس بجواره
أحد لحظة وقوعه من النافذة.
- صحيح أنه أصبح مستنّاً، هذا المسكين، يقول المقدام موافقاً.



— كسر في عظم الكتف اليسرى، كسر في عقب القدم اليمنى، كسر في الإبهام الأيمن، التواء المعصم الأيسر، وتشقق في عظمة الحوض، يقول طبيب الطوارئ.

— يا لهذا البينو المسكين، كأنه قطعة بسكويت جافة، يقول بiero باشفاق.

— وهل سيستغرق اصلاح هذا السيد مدة طويلة؟ سألت الطبيب المناوب.

— لن يتعافى قبل شهرين كاملين!

— هل بإمكاننا التحدث اليه؟

— أجل، لقد فرغنا للتو من تمليطه.

دخلنا الى غرفة ذات أربعة أسرة. لنجد بينوش ممدداً فوق السرير الأخير في مؤخرها. أشبه بلوحة المسافات البيضاء التي لم تدوّن عليها بعد الاشارات والأرقام. يبدو عزيزنا الطيب شاحباً. وما إن يرانا قادمين حتى يرتسم طيف ابتسامة من خلال شاربيه الكثيفين.

- ألم تعثروا على طقم أسناني؟ يصفرُّ قائلًا. لقد فقدته أثناء سقطتي ولا بد أنه انزلق على الأرض.

حين يتكلّم بفمه الخالي من أسنانه المستعارة يبدو فمه وكأنّه بخاخ فارغ.

- لو كان طقم أسناني يلائمك لأقرضتك إياه طوعاً، تؤكد له تلك الروح النيلية، ولكنّ خطمك الذي يشبه خطم جُرذ يحتاج الى طقم خاص!

يحتجّ بينو بلا حماس. ويقول إنّه يفضل خطم الجُرذ على وجه الخنزير البري. ويشكر بيرو لعرضه السخي، وينصحه بأن يدسّ طقم أسنانه في موضعٍ من شخصه الكريم لا يبدو للوهلة الأولى الموضع الملائم له.

ويكفي مثل هذا الجواب للتثبت من صحة العجوز برغم سقطته المريعة.

- ماذا جرى يا بينوش؟ أقول مقاطعاً سجالهما في الوقت المناسب.

- هلاً حككت لي أذني؟ يتوسّل المسنّ الذي ينبغي، على ما أظنّ، أن أذكركم بأنه عاجز مؤقتاً عن استخدام أطرافه.

فألبّي طلبه بسبّابة متعاطفة. وعندما استراح صاحبنا من الحكّة تتحنن قائلاً:

- ما جرى لي لا أستطيع أن أصفه لكما ذلك اني لم أظن الى شيء منه.

- وكيف ذلك؟

- كنت واقفاً على ذلك الكرسي ثم هويتُ. بدا لي أن الكرسي
تترجّع مع أنني كنت وحدي ولا أحد يقربي.

- أكنت بمفردك في الحجرة؟

- لا، كان هناك أحد الموظفين. إلا أنه مكث على بعد مترين على
الأقل.

- كيف استقبلوك في القنصلية؟

- استقبلاً جيداً. قرعتُ باب الخدمة. ففتح لي خادم. فقلت له
إنني جئتُ لإصلاح لوح الزجاج المكسور...

ثم يصمت، وترتسم على وجهه علامة ضيق ويسأل راجياً:

- هلأ نزع لي شعرةً من أنفي. أريد أن أعطس.

بادر السمين، وهو الخبير في مثل هذه الأمور، إلى إجراء عملية
الاستئصال. فتعمد أصابعه الثخينة إلى فتح منخري بينوش. ثم
تطبق أظافره المسودة حداداً على الشعيرة وتقتلعها. يشهر بيرو
غنيمته عالياً ويعرضها لضوء المستشفى الشاحب.

- ليست الشعرة المقصودة، يقول بينو معترضاً. ولكن، لا بأس،

لنكمل...

في التعامل معه يتبغى على المرء أن يتزوّد بكل أنواع الصبر
وفنون وأساليب استخدامها. إذ يحتاج دائماً إلى فتحة قناني
وأنبوب من «الفارلين» لمساعدة بينوش على توليد أفكاره.

- حسناً، أجبتُ منبهاً، قلت لهم إنك جئتُ لاستبدال الزجاج،

وبعد؟

- وبعد؟ أدخلني الخادم إلى رواق طويل ودعاني للانتظار هناك.

وذهب لإبلاغ رجلٍ كان يتحدث عبر الهاتف في حجرة مجاورة. اعتقد أنه سكرتير القنصل. كان الرجل يتحدث بصوتٍ مسموع ولا يكف عن الثرثرة المتواصلة. وعندما أنهى مخابراته أبلغه الخادم بأمرٍ. فحضر فوراً. كان رجلاً فتياً أسمر يرتدي ثياباً سوداء تبرز معالم سحتته الشاحبة. وسألني عن اسم الشخص الذي استدعاني فأجيبته بما أمرتني أن أقول: إنني لستُ سوى مستخدم بسيط وإنَّ ربَّ العمل هو الذي أوفدني إليهم. ربما أخطأت بالطبقة؟» أردفت قائلاً.

ثم سكت بينوش مجدداً. فعلى عادته لا يستطيع هذا الرجل أن يدلي بتقرير كامل دون أن تتخلله اثنتا عشرة استراحة.

— هلاً حككت لي جيبيني.

فأحكَّ جيبينه. فيقول بيرو ساخراً:

— آمل أن لا تكون مصاباً بالحصبة يا صاحبي، وإلا استودعك الله!

— وبعد يا بينو؟

— بدأ الرجل ذو الملابس السوداء متردداً بعض الشيء، ثم قادني إلى الحجرة ذات النوافذ المغلقة.

— كيف بدت لك الحجرة؟

— غرفة مكتب فسيحة مزينة بديكور من الجصّ النائي، وقطع أثاث طراز لويس التاسع عشر وكلّ شيء... وقد غطّي إطار لوح الزجاج المكسور بقطعةٍ من الكرتون.

— وهل لفت انتباهك أي تفصيل غريب؟

- كان كل شيء مُرتباً في مكانه؛ ولكن ثمة ما لفت انتباهي....
- ماذا؟
- الوشاح الذي يُغطي طاولة المكتب. وشاح كبير مُطرز وله
شُرابات... بدا لي الأمر غريباً بعض الشيء.
- هذا كل شيء؟
- لا، مهلاً. تحت طاولة المكتب لاحظت أن جزءاً من الموكيت قد
انتزع وبدت أرضية الحجرة.
- إنه أمرٌ مثير، أقول.
- حقاً؟ يقول بيرو بلهجة تعجب.
- بالطبع! افترض للحظة أن القنّاص قد أفرغ مشط بندقيته
من نافذة المنزل المقابل على شخصٍ ما كان يجلسُ الى طاولة
المكتب؟
- وهذا يعني؟
- هناك احتمال أن تكون بعض الرصاصات قد أصابت المكتب،
وأن تكون الضحية قد وقعت أرضاً ونزفت دمها على السجادة،
اليس كذلك؟
- تحليل لا بأس به، يقولُ البدين. تحليل لا بأس به على
الاطلاق. لا يعوركُ الوقود هذا اليوم لاتقاد الذهن. لا أقصد
المحابة ولكن تبدو لي في أحسن حال.
- نستأذنُ عزيزنا بينوش بالذهاب في الوقت الذي بدا يتحسس فيه
جِكةً في عَجيرته.



الكوميسير غائب، إلّا أن معاونه يستقبلنا بكلّ الجفاوة^(٥) التي تليق بنا. إنه شاب قصير القامة ومتقف، ولا يصعب على المرء أن يتبين ذلك على الفور عندما يرى تخطيط ربطة عنقه.

- آه! يقول، قضية الزّجاج؟ حادث عادي أودى، للأسف، بحياة أحد رجالنا!

- هل استجويتم موظفي قنصلية الابانيا؟

- على الأقلّ استجوبنا الخادم الذي كان حاضراً في الحجرة. ويبدو أن الزّجاج كان رجلاً مُسنّاً ويمكن القول أنه اخرق كحرفي. فقد اعتلى كرسيّاً سريع العطب ليثبت لوح الزجاج في مكانه. وفي الاثناء انكسرت احدى قوائم الكرسيّ تحت وطأة الثقل فهوى هذا الاحمق من النافذة.

- وهل عاينت الكرسيّ؟

- بالطبع. إنّها مقعد من طراز نابوليون الثالث من الخشب المخروط الأسود والمطعم بعرق اللؤلؤ. كان محض جنون أن يعتلي بثقله مثل هذا الكرسي الهشّ.

متكلف العبارة - اليس كذلك؟ - هذا السكرتير، ثم يردف قائلاً:

- في العادة، يستخدم الزجاجون سلماً.

- أمّا هو فقد تزوّد بما يُخَفِّض رتبته، يعزح البدن الذي أربكته نبرة محدثنا وحركاته.

ويطرق عظمة كتفيه.

(٥) خيط بين الحفاوة والجفاء.

– الخلاصة، انه قضاء وقدر.

– إن خلاصتك متسّرة بعض الشيء يا بيرو.

أرفع سماعة الهاتف وأطلب الاتصال بالمستشفى حيث تمت معالجة بينوش. ممرضة هناك تستعلم عن رغباتي فأرجو منها أن تذهب الى بينوش لتسأله عن الكرسي الذي اعتلاه في القنصلية. فلم تخف استهجانها إلا أن صفتي كشرطي ذي رتبة وصوتي المخملي أقنعاها بعدم التردّد وذهبت لتسأل.

– أنت بالفعل كالقديس توما، قال البغيض هارثاً.

بعد ذلك بدقيقتين تزفّ إليّ الممرضة جواب بينوش الذي قال انه اعتلّى كرسيّ مطبخ عاديّة أحضره موظف القنصلية في بادرة لطف منه. وإذ أرضيت فضولي أضع السماعة. أما بيرو الذي سمح لنفسه أن يسترق السمع عبر السماعة الإضافية، فيتخذُ سحنةً أشبه بغسيل الفقراء المنشور ليحفّ.

– كيف حذرت؟

– إن بينوش المريض ليس من النوع الذي يوكل هيكله المتداعي الى كرسيّ من طراز نابوليون الثالث.

– وهذا يعني؟

– أن جماعة القنصلية هم الذين دفعوه وأنهم تعمدوا بعد ذلك، في بادرة سخاء، التضحية بقائمة كرسيّ من طراز رفيع لكي يؤكدوا روايتهم للحادث.

يعود معاون الكوميسير الذي ترك لي حرية استخدام تلفونه.

– ثمة ما ليس على ما يرام، يا حضرة الكوميسير؟

– بالعكس، أقول. كل شيء على أفضل ما يرام.

في السيارة يطرح عليّ بيرو السؤال الذي يدغدغ نخاعه الشوكي.

– حسناً، لنسلم جدلاً أنّ القضية مدبرة، ولكن كيف استطاعوا أن يرموا ببينوش من النافذة ما دام الخادم مكث في مكانه على بعد مترين؟

– كانت الكرسي موضوعة على سجادة ولم يكن على الخادم إلا أن يسحب طرفها. أو ربّما اقترب شخص آخر خلسةً من الخلف... هناك ألف احتمال.

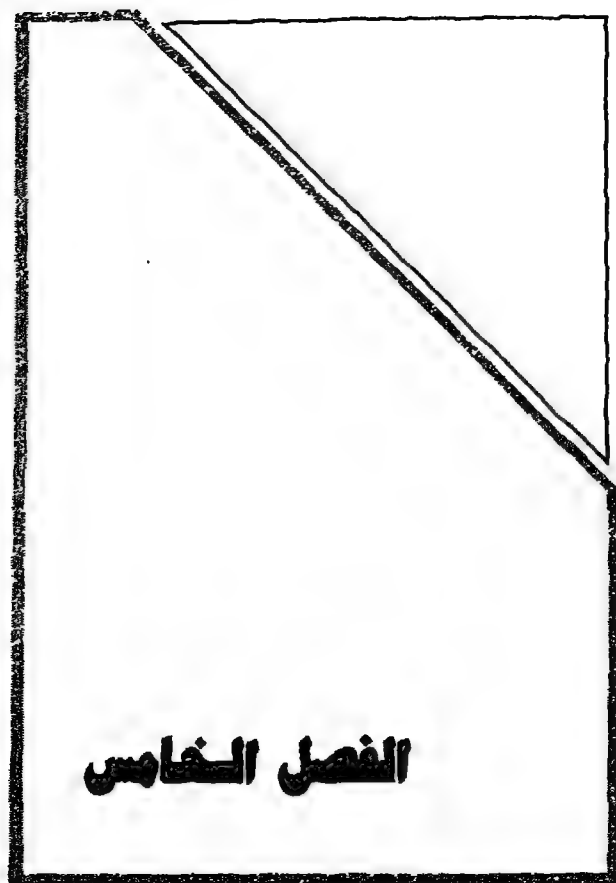
– وفي رأيك، لماذا أرادوا التخلص من الأب بينوش؟
– لأن أحداً في القنصلية لم يستدع رَجَاجاً فبدأ مجيئه اليهم مثيراً للشبهات.

لم يقتنع السيّد الجليل بتفسيرى.

– لا اعتقد أنّ ما فعلوه هو الحلّ الأمثل للتخلّص منه. ففي دفعهم إيّاه عبر النافذة تزداد الأمور تعقيداً ومن شأن فعلتهم هذه أن تضاعف الشكوك وتوفّر للشرطة الذريعة القانونية للتدقيق في المكان.

يصعقني برهانه. ليس هراءً بالتّمام ما يقوله هذا الرجل البدين برغم أنه هو الذي يقوله. فبأية حال، ما الضير في أن يتركوا الرجل يستبدل لوح الزجاج المكسور؟ إن المخاطر في ذلك لا تضاهي مخاطر شروعهم في جريمة أخرى.

- هل أنت مسلّح، أيها البدين؟
- أحمل ثاقبة الأبدان، أجل. هل تكفي؟
- ستقوم بجولة رسمية في القنصلية.
- حسناً. وماذا سأقول للالابانيين؟
- ستقول إنك شرطي وإنك كلّفت بمتابعة التحقيق حول القضية
لأنّ الزّجاج استعاد وعيه ويدّعي أنّه دُفع عن الكرسيّ. وستراقب
ريدود فعلهم.
يُبدى السمينُ ابتهاجاً.
- حسناً.
- اتشعر بالخوف.
- لا، قل لي يا سان - أنطونيو هل رأيتني مرتعداً من قبل؟ دعني
أتصرّف وصدّق أنهم سيُعترفون لي بما يملأ الصفحة الأولى من
جريدة الباريزيان ليبيّريه!
- بنباهة يا بيو، أسمعني؟
- عندي ما يفوق حاجتي من اللباقة، وقد تحدّثك جمهرة من
النساء بهذا الشأن.
- وخصوصاً لا تلمّح بشيء إلى الرشقات الشبحيّة التي أطلقت
على القنصلية.
- ولكن قل برك، أحسبني صاحب الرأس المجوّف! يجيب
مستاءً. قلت لك إنني أجيد مهنتي جيّداً! لقد عملنا سوياً لسنوات
وينبغي أن تكون واثقاً من ذلك!



الفصل الخامس

- هل أزعجك، يا سيّد مورييون؟

أعتقد أنها المرّة الأولى التي أتاديه فيها بلقبه (ذي المهمان)^(*)، وكدتُ أعضّ على شفّتيّ إلّا أنّ مورييون بدا غيرَ مباليّ. لقد اعتاد الأمر. وبأية حال، أليس لقبه هذا هو الذي جعله يتذكّرني هذا الصباح؟

- لا، أبداً، يا صديقي الصغير.

- هل كنت في المنزل عندما هوى الزّجاج...

- أجل ولكن للأسف الشديد لم أكن عند النافذة. لقد سمعت جلبة ارتطام مكتومة وصراخاً وأصوات حشد. وعندما هرعت الى النافذة كان قد قُضي الأمر...

- هلا أعطيتني منظارك مرّةً أخرى. فالعرض متواصل في المبنى المقابل. حفلتان، صباحيّة ومسائيّة...

يعثر على المنظار المقرب داخل دلوّ أبيض فارغٍ مؤقتاً ويعطيني

(*) Morpion : تعني الأصل: طيّوع (قمل العانة).

إِيَّاهُ. فَأَكْمَنَ خَلْفَ سِتَارَةِ النَّافِذَةِ الْمَرْقُوعَةِ. وَقِبَالَتِي أَرَى مِصْرَاعِي
النَّافِذَةِ وَقَدْ أَغْلَقَا مِنْ جَدِيدٍ. وَأَمَلْتُ أَنْ يَتِمَكَّنَ زَمِيلِي الْبَدِينُ مِنْ
فَتْحِهَا. وَعِنْدَهَا، سَتَسْتَسَلُّ نَظْرَاتِي الرَّهِيْفَةَ إِلَى هَذَا الْحَرَمِ
الدِّبْلُومَاسِي! وَقَدْ يَسْأَلُ بَعْضُكُمْ، مِنْ بَيْنِ أَكْثَرِكُمْ رِبَاطَةَ جَاشٍ، لِمَاذَا
لَا أَقُومُ بِنَفْسِي بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ الْخَاطِطَةِ إِلَى الْقَنْصَلِيَّةِ مَا دَامَ فَضُولِي
مُتَوَقِّدًا إِلَى هَذَا الْحَدِّ. وَأَقَرُّ اسْتِثْنَائِيَّ أَنَّ هَذَا التَّسَاوُلَ أَكْثَرَ مِنْ
مَحَقٍّ. وَلَكِنْ، كَمَا تَرَوْنَ، يَا عَصْبَةُ النَّبَاتِيِّينَ، أَنَا أَحْرُصُ عَلَى حِفْظِ
قَوَايِ لِلطَّامَةِ الْكَبِيرَى، كَمَا كَانَ يَقُولُ أَحَدُ مَعَارِفِي، ذَلِكَ أَنَّ
سَانَ أَنْطُونِيُو يَعْنِي مَقَرَّةَ النَّخْبَةِ، الشَّجَاعَةَ إِيَّاهَا، النَّجْمَ الَّذِي لَا
يُضَاهِي: وَلَا يَتَدَخَّلُ إِلَّا فِي عَزِّ الْمَعْمَعَةِ (كَمَا يَقُولُ الْأَرْمَنُ).

وَمِصْوِيًّا مِنْظَارِي الْمَقَرَّبِ، مَكُنْتُ مُنْتَظَرًا.

- أَلَا تَحْتَسِي مَعِيَ كَوْبَ كَاكَاوَا؟ يَتِمَّتُ مَوْرَبِيُونُ.

- بِكُلِّ سُرُورٍ، أَجِبْتُ سَاهِمًا.

فَجَاءَتْ فَتَحَتِ الْمِصْرَاعِيعَ. لَالْمَحَ وَجْهَ زَمِيلِي الْأَكُولِ الْبَدِينِ. السَّيِّدُ
بِيرُورِيَّةِ مُسْتَفْرَقًا فِي حَدِيثِ مَطْوَلٍ مَعَ رَجُلٍ يَرْتَدِي مَلَابِسَ سُودَاءَ
فَأَذْرَكَ أَنَّ السَّكْرَتِيرَ الَّذِي وَصَفَهُ لِي بَيْنُوشَ. فَأَدْعُ هَذَيْنِ السَّيِّدَيْنِ
لِشَأْنِهِمَا كَيْ أَنْقَحَ صُخْرَ الْحَجَرَةِ. فَالْمُحُ هُنَاكَ مِنْ خِلَالِ الْعَتَمَةِ،
طَاوِلَةُ مَكْتَبِ مَطْعَمَةِ بِالْبُرُونَزِ الْبَاهِتِ. وَبَدَلَ أَنْ تَبْدُو لِي كَأَنَّهَا مَكْتَبُ
سَفِيرٍ أَجْدَاهَا أَقْرَبُ إِلَى مَكْتَبِ كَنْتِيبِ! إِذْ أَنَّ الْوُشَاحَ الَّذِي يُغَطِّي
الطَّاوِلَةَ يَجْعَلُهَا تَبْدُو أَقْرَبَ إِلَى تَابُوتِ لَمِيتَ. خُصُوصًا أَنَّ سَجَادَةَ
فَرَدَّتْ عَلَيْهَا وَغَطَّتْ كُلَّ الْحَيِّزِ الَّذِي تَحْتَلُّهُ. فَأَعُودُ لِمُرَاقَبَةِ بِيرُ
وَمُحَدَّثِهِ. فَلَاخِظْتُ أَنَّ هَذَيْنِ السَّيِّدَيْنِ يَتَنَاقَشَانِ بِحَدَّةٍ. وَلَوْ أَنَّ
ضَوْضَاءَ الشَّارِعِ لَيْسَتْ يَمَثُلُ هَذَا الصَّخْبَ لَتَمَكَّنْتُ بِالتَّأَكِيدِ مِنْ

سماع حديثهما. تدوم الحادثة ربع ساعة تقريباً، وبعد ذلك يستأذن السمينُ بالمغادرة.

.. هاك كوباً من الكاكاو! ينبئني مورييون اللطيف وقد دس بين يديّ كوباً مُترعاً بسائلٍ ساخن.

ودون حذرٍ منّي أتذوّق الشراب.

.. هل أنت واثق يا أستاذ من أنه شراب الكاكاو؟

وداح مورييون يحتسي جرعةً ويهزّ رأسه برفق.

.. لا، لقد أخطأت: إنه طحين الكتّان، ولكن ما الفرق؟ المهم أن يقتات المرءُ بشيء، يا صديقي الصغير. فالشراة شكل من أشكال التبرجّز.

.. ربّما كنت على حقّ، وأوافقه، ولكن ألا تراودك فكرة أن تصنع مادة ما من قشرِ الموز؟

ثم هرعت للملاقة زميلي البدين.

*

* *

كان متهاكاً على مقعد السيارة، صافناً كتمثال بوزا. وأنفه المزرقّ يشبه ثمرة فراولة أهملت في منتدئ الجمعية الزراعية بعد نيلها الجائزة الأولى.

.. لا تبدو لي على خير ما يرام، يا بيرو؟ أبادره بالقول.

.. لأنني لست على ما يرام.

.. بسبب ماذا؟

— بسبب الذي سببه!

لن يعدم القارئ ملاحظة الدقة والإيجاز والقوة الإيحائية في إجابته. أما أنا فتذهلني.

— إنك في ذروة امتلاكك اللغة، يا بيرو، أقول مُبدئاً إعجابي. إذ لا تغفل عن لطائفها وحذافيرها. وتقلّبها كما يقلّب الأكتع مضرب التنس. إذ يكتسب الفكر الفرنسي، بفضلك، مساراً لا يُضاهى من حيث المتانة.

«كم أودّ لو أستطيع أن احتفي ببراعتك اللفظية بنشيدٍ أنظمه تقريباً لمجدك. وحيداً لو أملك عشر فصاحتك لأمجد به الأعشار التسعة التي تمتلكها أنت!

أثمله كلامي قليلاً، بيرو المسكين. وبدًا جيئنه الضيق كمثل شريط الآلة الكاتبة أضيق أيضاً وأيضاً. أما عينه المائلة دائماً الى الاحمرار فراحته تزداد احمراراً.

— إذا كنت تحسبُ أن ساعة العمل قد حانت، فانا لها، قال السيد المبجل مويخاً. فانا لا أخشى أحداً في لعبة الصبيان هذه.

فأرضخ دون مقاومة.

— إذأ؟ ماذا عن زيارتك القنصلية؟

— قنصليّ أنت نفسك! لقد خدعوني، يا فتيان. لقد باعني هؤلاء القروء هراء الشيطان نفسه. يا لهم من مكارين! تباً وتباً لهم من مكارين!

— أفصح....

- قبل كل شيء قالوا لي انهم لم يستدعوا زجاجاً على الاطلاق،
أليست بدعة؟

- كل إعجابي.

- بدعة لا بأس بها، بالفعل.

- ثانياً، قالوا لي إن بينوش اعتلى كرسي مطبخ لتجهيز إطار
اللوح. ثم حين ترجل عنها لقطع الزجاج وأراد أن يعتليها مجدداً
فاختلط عليه الامر واعتلى كرسيّاً أخرى كانت على مقربة منها. فمثل
هذا التفسير يجيب على كل تساؤل اتنا. هل تلاحظ مدى دهائهم!

- وهل أخبرتهم أن الزجاج يزعم أنه دُفع عن الكرسي؟

- طبعاً.

- بماذا أجابوا؟

- ضحكوا. وقال لي النصاب ذو الملابس السوداء والذي حدثنا
عنه بينوش إن الزجاج كان ثملاً بلا ريب وليس عليه إلا أن يتقدم
بشكوى حسب الاصول النظامية إذا شاء. ويبدولي واثقاً جداً مما
يقول، أوتعلم...

- حدثني عن المكتب.

- هناك الوشاح الذي يُغطيه إلا أنهم وضعوا سجادة تحته.
أردت أن أرفع الوشاح إلا أن السكرتير راح يزيّد ويرعد متذرعاً
بأنني أفقُ على أرض الابانية ولا يحق لي أن أتخطى حقوقي. وانت
تعرفني جيداً؟ أحمدُ الله أن تعليمي أكثر من كافٍ، ولكن الحقوق

مسألة أخرى وأعلم جيداً أن لديّ ثغرات (إحداها بحجم بحيرة) في هذا المجال. كذلك أثرتُ السلامة، فضلاً عن التعليمات التي تلقيتها منك بأن...

- حسناً يا بني! لقد أحسنت فعلاً. هناك إجراء شكليّ أخير وبعد ذلك الخاتمة فوراً.

- أي إجراء أخير؟

- إذهب واستجوب حاجبة القنصلية بلطف، لتستعلم إذا كان القنصل يقيم في القنصلية أم أنها مجرد مكاتب رسمية.

وبوداعته المأثورة يبتعد نيرو مجدداً . إنه جزؤ مطيع وباستطاعة أي كان أن يرمي اليه الكرة مراراً، وفي كل مرة يلتقط الكرة ويعيدها الى راميها.



- الخلاصة؟ سأل العجوز.

إنها التاسعة مساءً ما يُعادلُ في رطانة توقيت محطات السكة الحديد، الحادية والعشرين تماماً. يبدو القائد متعباً بعض الشيء. ويخطر لي أنه بحاجة لأن يرتاد أمكنة الطبيعة بين الحين والآخر، لكي يُرخي أربطة عصابه. فلفرط ما يمكث قابعاً في مكتبه يكاد يفقدُ مظهره الآدمي. وأراهنكم بكبد عجل مقابل كبد السماء أنه لم يَرِ عشباً خضراء واحدة منذ نحو عشرين عاماً. فالكون في عينيه عبارة عن إضبارات وملفات... ويتبغى أن تكون للمرء سليقة دانتي نفسه لكي يروي تفاصيل ما يجري في شعاب دماغه.

- الخلاصة؟ يردّد قائلاً بصوته الذي يشبه خرتشة عود ثقاب
مبلّل فوق محكّ المبتلّ.

- استنتاج غير رسمي، يا سيّدي المدير، قلت متابعاً.

- بالطبع.

- انا أعتقد أنه خلال الأيام الأربعة المنصرمة تعرّض أحد أفراد
القنصلية الى محاولة قتل. فقد كمن قناصة في منزل الاستاذ
مويوي وأطلقوا الرصاص على شخص ما في غرفة المكتب المقابلة
لمنزل أستاذي السابق. ولأسباب مجهولة، تكتم موظفو القنصلية
على الأمر. وبالفعل في تكتمهم حتّى أنهم لم يستبدلوا الزجاج الذي
حطّمته الرصاصات. من الذي قتل؟ لغزاً!

- هل قُتل أحد بالفعل؟

- يبقى أن نعمل على إيضاح هذه المسألة. وبأية حال، لقد نزفت
الضحية، لأنهم سارعوا الى نزع جزء من الموكيت. وعندما حضر
اليهم بينو متتكرراً في زي زجاج، لم يتمكن من خداعهم وأرادوا
التخلّص منه نهائياً. أعتقد أنهم لم يرتابوا بكونه شرطياً بل حسبوا
على الأرجح أنّه أحد أفراد جماعةٍ معادية تشن عليهم حرب
عصابات.

- ولكن من المستهجن فعلاً أن يلجأوا الى مثل هذه الحلول
المتطرّقة، فهي لا تخلو من بعض الخطورة.

- الوقائع في متناول يدك.

- بعض الوقائع، أليس كذلك يا فتیان؟ وما إن أنهى هذه

العبارات الجميلة حتّى يفرد هاتف العجوز. فيرفعُ حليقُ الراس
السّماعَة.

- على السّمع!

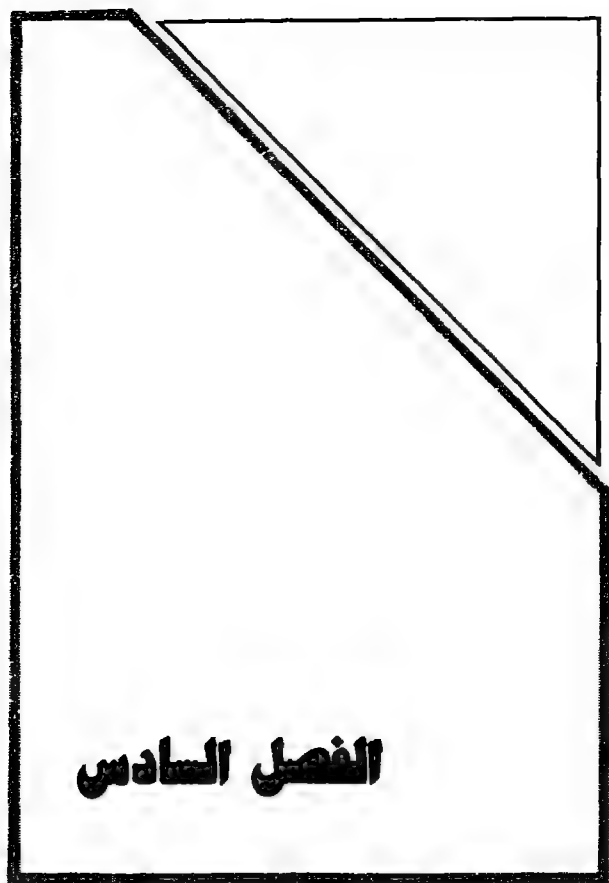
ويُصغي بالفعل. لا بل يصيخ السّمع مطوّلاً. ولا بدّ أن ما
يسمعه مثير جدّاً، ذلك أن وجهه أصبح أشبه بقناع الموتى. وفي
الختام أعاد السّماعَة الى محلها.

- إذأ، هاك ما يستحقّ العناء، يا عزيزي سان أنطونيو، يقول لي
بصوته الذي يليق ببدينٍ عجوز.
انتظرُ التّمّة.

- لقد تسلّل شخص ما مُتَنَكِّراً بزي ممرّض الى مُستشفى
بوجون وأطلق الرصاص على نزيل السرير المحاذي لسرير بينو. مات
المسكين، لقد قُتل على الفور.

ولم يكد ينهي عبارته حتّى شارفتُ عتبة الباب.

- سان أنطونيو! ناداني اليوم، اطلعتني على المستجّدات.



أفضل أن أقول لكم يا إخواني أن هناك حركة غير اعتيادية في المشفى والجناح الذي وقع فيه الحادث يغصُّ بالناس من كل نوع. الصحفيون يعلنون ابتهاجهم المهني بالتماح فلاشات كاميراتهم برغم احتجاج موظفي المستشفى. ولحسن الحظ كان هناك بعض أفراد الشرطة لكي يصدوا الغزاة بقبعاتهم.

- أيزعجك أن تحكَّ لي قَمَّةَ رأسي؟ يقول بينوشيه متوسلاً. تخيل أن كلَّ هذا الانفعال قد سبَّب لي طفحاً جليداً!

يحرث بيمو رأس رفيقه بمخالبه القاسية. ويجزيه بينو امتناناً الرقَّة تلو الرقَّة من أجفانه.

- ماذا جرى؟ سألت.

يتنحنح المسنُّ الرقيق ويدفع بطرف لسانه شعيرات من شاربه كانت تدغدغ شفتيه.

- كنتُ نائماً. وسمعتُ طقطقة قشور جوز. ففتحتُ عينيَّ ولبحت طليفاً أبيض يلوذ بالفرار. كانت سحابة من البارود تعبقُ في أرجاء الغرفة. وكنا، هؤلاء السادة (ويُشير إلى نزلاء الغرفة المدعورين) وأنا

بمعيتهم، نسعلُ حتّى أنفاسنا الأخيرة. لقد استخدم الجاني سلاحاً مزوّداً بكاتم للصوت.

قلت لرفيقي بينوش: وهما عجوزان ودودان قيد التصليح.

- هل رأى أحدكما الجاني؟

- إنا رأيته، يقول الأكبر سنّاً.

- انه رجل بدين، أصفر اللون، وله صلعة ملساء شاحبة.

- لقد حسبته أحد المناوبين الليليين، ولذلك لم أعِره انتباهاً، تاتاً

الرجل الذي يخفي وراءه ثلاثة أرباع القرن وهو يتأملني.

- ويعد؟

- اقترب من كلّ الأسرة وتمعّن في وجوهنا الواحد تلو الآخر.

يتكلّل الانفعال غصّة في حلقه.

- ويعد؟ سألت بالحاح.

يُشير المريض الى السرير المنكوب. يتأبط وسادته ويرفع جذعه قليلاً شاخصاً في الفراش المشووم. وإذ يراه شاغراً يرتعد كيانه.

- ما إن وصل الى هناك حتّى شهر مسدسه وراح يطلق النار على

رفيقنا في الغرفة.

- دون أن يوجّه اليه أيّ كلمة؟

- دون أي كلمة. وبأية حال فقد كان المسكين نائماً.

بمعنى ما، يلاحظ بيوربيه الحصيف، إنّها نهاية جميلة. على الأقلّ فيما يعني، فلو كان عليّ أن اختار لاخترت طوعاً أن الفظ الروح أثناء غفوتي.

أرمق البدين في غمرة استرساله في تأملاته الحسيفة. فالسيد
بيروديه من طراز أولئك الملاحين الذين لا يتبعون دائماً خط
غرينويتش.

- أين الجثة؟ سألت ممرضة شابة جميلة مثل قلب النهار الذي
ذهبت فيه برفقة ابنة عمي إيفيت الى حقل الفراولة.

- نُقلت الى مشرحة المستشفى.

- اودّ أن اعودها هكذا تقتضي اللياقة!

لم تستقبح الطفلة البريئة خفة كلامي. فقادتني بابتسامة
منمنمة في شكل بنفسجة عبر أروقة المشفى لتستقل مصعداً صُمّم
خصيصاً لنقل أجساد أفقية فنفضي الى قاعة اجتماع اللحوم
المبردة. وهناك نجد الفقيد ممدداً على نقالةٍ بعجلات وقد غطي
بشرشفٍ تأنفُ منه الجردان (كما يقول المغاربة). وإذا به رجل في
الخامسة والخمسين تقريباً عادي الملامح. إنه مثال الفرنسي
المتوسط الحال بكلّ القه؛ ولا شيء في حياته بالتأكيد كان لينبئ
بنهايتة المفجعة صريع رصاصات قاتل مأجور.

- من هو؟ أسأل.

- يدعى لوثنان ومهنته خباز. كان يعاني من تقرُّح في المعدة.

- إذاً، يمكن القول انه تماثل للشفاء الآن، تمتعت قائلاً. وكيف
استطاع القاتل أن يصل الى سريره؟

- كنتُ الممرضة المناوبة، قالت بلطف مقلبة موازين الحرارة وهي
تغطي وجه الخباز مجدداً. ثم جاء ذلك الممرض. وكان يضع برنساً
أبيض فوق كتفه وسألني عن سرير الزجاج الذي نقل الى المستشفى

خلال النهار بعد أن وقع من النافذة.

أمسكت بقوة بذراعها حتى لا تبدر منها أي محاولة للإفلات.
وقد بدا لي العكس، أن مبادرتي قد استهوتها.

- ألم يسبق لك أن رأيت هذا الممرض من قبل.
- لا، أبداً. ولكن عدد العاملين في المستشفى كبير جداً. وظننتُ
أنه ممرض يعمل في قسم آخر، أوتدرك قصدي؟
- وبعد ذلك؟

كانت البرودة قارسة في هذه الحجرة وربما لهذا السبب تميل
الصبيّة للاتصاق بي. ألا تعتقدون أنه السبب؟

- أجبته أنه وضع في الصالة ب وأنه يحتل السرير رقم ٣.

وتتورّد وجنتاهما.

- لقد أخطأت، فالجريح المعني يحتل السرير رقم ٤.

اسمعوا يا فتيان، لا أدري إذا كنتم تشاطرونني الرأي (وإذا
كنتم لا تفعلون فسيان عندي) ولكنني أحسب أن ملائكتنا الحارس
يستحق في بعض الأحيان سلام تعظيم على أنغام الأرغن. والملاك
الحارس الذي يسهر على بينوش يستحق اليوم هالة من النيون!
وأشهدكم الحق، كما قال أحد القضاة. فهي هو الرجل الطيب
(وأقصد هنا بينوش) يسقط من الطبقة الثالثة دون أن يقضي وينجو
من رشقات قاتل محترف لأن الممرضة المناوبة لها رأس طائش.
ولذلك ينتابني حرق غامر حيال هذه الصهباء المحببة التي أنقذت
حياة صديقي بينو.

طوّقت خصرها ومنحتها أفضل ما في جعبة الكوميسير سان أنطونيو من جوائز: القبلّة النعمة المبقية الرطبة المربة وقد راق لها ذلك.

ستحتجون بأنّ المكان ليس ملائماً لمشهدٍ من هذا النوع، اليس كذلك، أيا زمرة من المتزمتين؟ أيجب أن أكرّر لكم أنني لا أبالي باحتجاجاتكم وأن بإمكانكم استخدامها بمثابة تحاميل؟

أعلم جيّداً أنّ من بين شروط التأهيل للعمل في المستشفيات ليس من الضروري أن تكون الفضيلة ديدناً ودينياً، ومع ذلك فإنّ صراحتي الماثورة ترغمني على القول إن هذه الممرضة طويلة الباع (بهذا المقدار) في علاج البروستات. وإن تقدّم لي عرضاً شاملاً عن مهاراتها الفمّية إلّا حين ولجنا المصعد. وتوقفت المقصورة بين الطبقة الأرضية والطبقة التي تحتها ونشرع في لعبة «كيف الحال ناحيتك، كيف الحال ناحيتي، في نظام المشي المرصوص».

اشعر بأنّي في حالة جيّدة جدّاً وقد ذهلت الفتاة بالطبع لتفتّح قدراتها استجابةً لمهاراتي.

الإرتجال علمٌ ودراية، أيّها الفتيان. وأنا أنتمي الى سلالة المُرتجلين. هيا، اسألوا هذه الفتاة وسترون بماذا ستجيبكم. لقد منحتني شهادة بذلك ولكنني نسيتها في دُرج قمصان يوم الأحد.

فوّر عودتي لجُدّ بيرو مُنهمكاً بالتهام السكاكر. ويخبرني بيرو بشيء من الحدة أن البدين قد نهَب محتويات المنضدة التابعة للسريّر المجاور. وأضاف أنّه أمرٌ غير لائق، وأنّه يتبرأ رسمياً من زميله. وبهزة كتفين لا مبالية يشير بيرو الى ضاحيته: رجلٌ عجوز

ضئيل الحجم تصل أرنبية أنفه المعقوف الى ذقنه، ينأى محدثاً جلبه
أشبه بضوضاء خلأط كهربائي.

- أنظر بحق السماء إلى هذا الجد البائس، يقول البدين المنتهك.
يبدو لي انه مصاب بالخرف ثم كيف له أن يمضغ حبة السكاكر
باللتتين. إن مغارة فمه فارغة تماماً، كأنه يسير على مطاط العجلة،
تخيل. فباستثناء هريسة البطاطا واللبن، لا يستطيع أن يأكل شيئاً.
ويبدو زمن عَض الرمان بملء الأسنان حقبة من تاريخه الغابر. أما
من جديد؟

- لقد ثبت لذّي أن بينو هو المقصود. ونجا بفضل معلومة خاطئة
وكان لجاره المسكين أن يشرب عنه حساء الرصاص.

فيمتقع المسن المتهاك.

- ماذا تقول، كنت أنا المُستهدف؟ يقول مُتلعثماً. ولاي ذنب؟

- لا بد أن رفاقنا الأعزّاء في القنصلية هم الجناة. اسمع يا
بينوش، ستحاول أن تستجمع كلّما تذكره حول زيارتك للقنصلية.
فلا بد انهم يحاولون تصفييتك لأنك شاهدت أو سمعت شيئاً خلال
زيارتك للألابانيين. شيء ما على قدر من الأهمية، ويريدون أن تنساه،
أو أن تدفن معه، مهما كلف الأمر، أسمع ما أقول؟

فيقول بنبرة اليأس.

- لم أن أكثر مما قلت لك.

- ولكنك سمعت. ألم تقل لي ان السكرتير كان يجري اتصالاً
هاتقياً في الحجرة المجاورة؟

- كان يتحدث بلغة غريبة! يقول بينو معترضاً.

فأصوبُ سبّابتي الحصيفة نحو طاس دماغه.
- حُكّ قليلاً الموضع الذي تشير إليه، يتوسّل الهَرِمُ الرقيق! كم
أحس بالحكة.

فألجّبي طلبه. وأقول حاككاً جلدَ رأسه:
- إذأ، لا بدّ أنه كان يُصرّح بأشياء بالغة الأهمية، يا بينو.
ويريدون قتلك تحسباً لاحتمال أن تكون قادراً على فهم الالابانية.
- لكنني لا أفقه شيئاً منها! يصرخ المسنُّ هلعاً. يجب أن تقول
لهم.

فيقول السمين هازئاً وقد فرغ من التهام حبوب السكاكر
المسروقة من خزانة الجار.

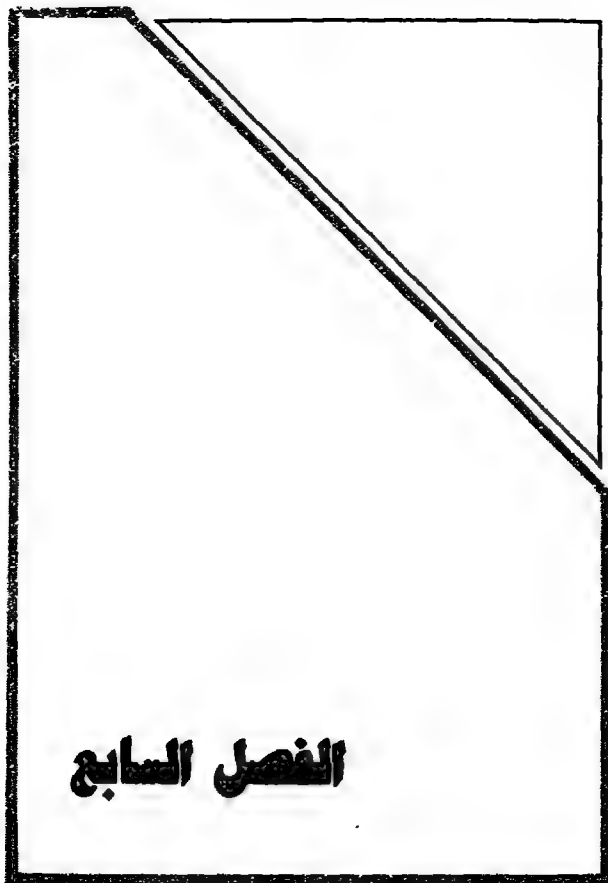
- سننشر إعلاناً في الجرائد، يقول الكركدن: يُعلمُ المفتش الأوّل
السيد بينو عناصر قنصلية الالابانيا أنّه لا داعي بعد الآن لقتله
نظراً لكونه يجهل لغتهم.

- ليس هذا وقت المزاح، يُقاطعهُ اللطيف، لقد قُتل رجل!
- وبما أن القتل ليس أنت، يُجيئهُ العنيد، يُصيحُ الأمرُ سيّان
عندي.

ظريف، هذا البيرو. نفس طيبة ولكنّه قليل الحساسيّة في الظاهر.
ذلك أنّه يحتفظ برأسماله العاطفي للرفاق والأصحاب. أمّا موت
رجل فليس في عينيه أكثر من خبرٍ في زاوية الحوادث المتفرقة التي
يقرأها حجاب العمارات.

- لا بأس، إنها نجاتك الثانية لهذا اليوم، يقول هازئاً. كأنك أتيت
مُجسداً يا بينوش.

وأعطي تعليماتي الواضحة بأن يُنقل المحترمُ الى غرفةٍ بسرير
واحد وأن يخضع للحراسة المشدّدة. ويعد ذلك تغادره نهياً للحِكة
والصفح الأكّال.



الفصل السابع

الأمسية مُنعشة مثل كأس الشراب مبرداً بقطع الثلج. يبلغني
ببرو بأنه جائع ويشعر بالنعاس. ويود أن يأكل طبق النقانق بالعدس
أو طبقاً من اللحوم المقددة. وبعد ذلك سيذهب ليفقو، على الطريقة
السينمائية، بين ذراعي بَرت، زوجته.

- ماذا بعد؟

- تراودني رغبة مُلحة في أن تقوم بزيارة خاصة الى القنصلية.

- في مثل هذه الساعة! يقول بنبرة استياء. لكنّها مقفلة يا

صاحبي!

- بالضبط، ولذلك سأفتحها.

- لن تجد أحداً هناك!

- لسروري العظيم.

يصعبُ إقناعه ما دامت النقانق تتراءى في علبة نخاعه قبل أن

تستقر مربية في كيس الهضم.

- وثمة شيء آخر، يا سان أ.

- لا داعي للقول، ولكن بأية حال هاتِ ما عندك.

- باقتحامك لباب القنصلية ترتكب جرم انتهاك الحدود!

- أعلم يا بُنيّ!

- والبليّة الاعظم أنّك ضابط شرطة، مما يُضاعفُ الأدلة الجرمية، وقد ينشأ عن ذلك إشكال دبلوماسي.

لم يكن مخطئاً في قوله، هكذا كنت أفكر في قرارة نفسي. وإذا انتبه الى حيرتي، واصل هجومه مُركّزاً:

- الا ترى أنّك قد تسبّب اندلاع حرب بين الألبانيا وفرنسا؟ وعندئذ تكون الطامة الكبرى. وخصوصاً في مثل هذه الأيام التي اعتدنا فيها أن نخسر كلّ الحروب التي نخوضها! ستقول إن الألبانيا بلد صغير. لكنني أودّ أن أفكّر الى أنه كلّما صَغُرَ البلد الذي نحاربه ازدادت حظوظنا في خسارة الحرب. وإكاد أقول إننا لن نصمد لثمان وأربعين ساعة وبعد ذلك سترى القوات الألبانية تجتاح ساحة قوس النصر. أوتدرك معنى هذا؟ الاحتلال وخنق الحريات، وما إلى ذلك! لو كنا لا نزال نملك قوتنا الضاربة لما خشيت شيئاً. ولكنّ الحقيقة أن ما لدينا من القوى الضاربة تجده في حي البيغال باحثاً عن الغواني! ومرة أخرى سيأتي الأميركيون الطيبون لنجدتنا. وتذكّر أن لا فاييت كان استثماراً موفقاً!

وينطلق البدين مأخوذاً بحمّياه. الآن وقد اعتلى المنبر، فلا بدّ أن يلعب دور «السيد سميث في مجلس العموم».

ويردّ قائلاً:

- أوتدري لماذا جاء الأميركيون لانتقادنا ثَملاً الحيطان بشعارات «أيها الأميركي عُذ الى بلادك»؟

- لكي يعودوا الى بلادهم، بحق السماء!

- بالطبع، ولكن أتدري لماذا الإصرار على عودتهم الى ديارهم؟

- هلاً أخبرتني؟

- لكي يعدّوا العدة للمجيء مرة أخرى لنجدتنا. لا، لا، صدّقني،
يجب أن تمنع التفكير في الأمر. وافعل ذلك من أجل فرنسا يا سان
أ. إذا كنت لا تريد أن تفعله من أجلي. ففرنسا لا تعوزها الأزمات
في الوقت الحاضر!

وإذ أمكُ صامتاً يحسبُ البدين أنّ مرافقته قد أقنعتني.
فيتخطّ محدثاً نخير بوق ويتفحص نتاج فعلته ويلفّ عليه المنديل
ويعيده الى جيبه ويقول:

- أعتقد أن طبق شوكروت أفضل بكثير ممّا قد تفعله في لحظة
طيش.

أفرملُ وأركن مركوبيتي بمحاذاة الرصيف.

- لماذا توقفت؟ يسأل النهم متلفتاً من حوله، لا أرى مطعماً في
الجوار!

وعندئذ يلمح سارية قنصلية الالبانيا فيقول ساخطاً.

- لك أن تفعل ما تشاء، أما أنا فلن أقدم على خطوة قد تُغرّق
بلادي في أهوال الحرب.

- لم أطلب منك أن ترافقني يا إصبع النقانق النالفة، قلت له
بحدة، فقط انتظرني هنا.

حملت مصباحي الكهربائي بعد أن اطمأنت الى وجود مفتاح

«سَمْسَم» سَحَرِي فِي جِييِي وَغَادَرَتِ الْبَدِينُ مُسْتَقَرَّقاً فِي خَوَاطِرِهِ
الْأَثْمَةِ.



اجتزت البوابة بسهولة ولم المس مفتاح الإنارة. وصعدت السلم
بسرعة من طبقة إلى أخرى حتى التمعت لوحة القنصلية النحاسية
في عيني. ويطالعني بابٌ ضخم ومتين ذو مصراعين. وقد جُهِزَ بعددٍ
من الأقفال يوازي عدد الأضرار في ثوب راهب. فأدركت مشقة المهمة
التي تنتظرني. ولكنكم تعلمون بلا ريب أن المهام الصعبة لا
تخيفني. فأنا من طينة الرجال الذين يهرعون لترميم سور الصين
أولحرفنقي بواسطة ملعقة شاي لجر مياه المتوسط الى مغاسلهم.

بدأت بمعالجة القفل الأول. ليس من النوع العنيد. ومع ذلك
فإن الفاصل مصنوع من مادة الايريديوم والمزلاج من مادة
مجهولة. وفي آخر المطاف أفلح في تَفْحِ اللَّفْقِ^(*) (اعذروا أخطاء
الطباعة)، أردت أن اكتب: (فتح القفل).

وانتقل الى الثاني، ثم الى الثالث. ولا أواجه صعوبة إلا في
معالجة السادس والثلاثين. وينبغي القول إنه عزيز اللسان لا عزيز
المكانة! ويستغرقني أربع دقائق وتسعاً وعشرين ثانية، ثم يستسلم
لإغوائي وأدلف أخيراً الى المكان. لا بد أنكم فطنتم، ان مرامي واحدٌ
وحيد وهو أن أصل مباشرة الى غرفة المكتب العتيد حيث لوح
الزجاج المكسور. ولحسن الحظ أنني أتمتع بإحساس صائب

(*) أخطاء الطباعة لدى سان أنطونيو لها معنى.

بالاتجاهات. كأنها ملكة من ملكات بركنقر الغامضة. فأجتاز راحة مؤتثة بالمقاعد فأصل الى باب ذي درفتين أجدس أنه باب المكتب المنشود. أدفع الباب فلا يهتز. ولذلك أجدني مرغماً على استخدام الاداة العجائبية التي لا تفارقني في مآثري المسجلة.

وهذه المرة لا تصادفُ الاداة مشقة بل تُرهة؛ مجردُ إجراء بسيط كما يقول مراقبو محطات السكة الحديد والمحترفون. فأدخل الى الحجرة كنيسر ما يكون.

وسرعان ما ظننتُ أنني خُدت. فطاولة المكتب ليست من الطراز الرئاسي الذي وصفه بينوبل من الطراز الانكليزي. انها قطعة اثاث من الاكاجو، بالغة الاناقة. نظرتُ الى الاسفل ولاحظت ان الموكيت كاملة. باختصار أحسب أنني أخطأتُ في اختيار الحجرة. فألقيت نظرة عاجلة على النافذة لتزول عني كل ريبة: لوح الزجاج المكسور. فعدت الى طاولة المكتب وانحنيت قليلاً. لأجد الموكيت في هذا الموضوع جديدة ناصعة. لقد لُفقتُ بقطعة جديدة فبدت ألوانها زاهية طلية.

أحسبُ أنَّ أصحابنا الميامين قد شعروا بخطورة الموقف فسارعوا إلى إصلاح الأضرار. ولا بدّ أنهم نقلوا المكتب القديم خلال الامسية. فتحت أدراجها فوجدتها فارغة. وهرعت الى خزانة ملفات وُضعت بمحاذاة الحائط حيث يوضع قفل جديد! وسعدت انه توفرت لي فرصة لتحقيق انتصار جديد للمتاحي السحري الذي يُضاهي أدوات لويس السادس عشر. وإذا بملفات مرقمة ومصنفة ومرتببة متنوعة الالوان.

سحبت أحدها دون تدقيق. فقرأت على صفحته الأولى كتابة واضحة الحروف:

« Hklovitekaya Sproutnzatza intzgog ».

ولا داعي هنا للترجمة لأنني أحسب أنكم لستم على قدر من الغباء الذي يجعلكم غير قادرين على قراءة اللغة الألابانية الحديثة. وبالفعل فإنّ الملفات تتضمّن طلبات الحصول على تأشيرات دخول. وقد أرفقت كل قسيمة بصورة لصاحبها ولزوجته وأولاده وأهله وأصدقائه وللجاني المكلف بأعمال التحصيل في ناحيته بالإضافة إلى صور جيرانه المقربين. وقد دُوّنت في القسيمة كافة المعلومات عنه: اسمه وعنوانه وعُنته وتاريخ ولادته ورقم جوازه ورخصة القيادة ورقم رخصة صيد السمك، إلخ. وقد ختمت كل القسائم بختم أحمر ضخم: « Tuladanik-Hu »، مما يعني، لنذكر من جديد إن نفعت الذكرى (بحق السماء)، «مرفوض». ولذلك أحسب أنّ السياح نادرون في الألبانيا.

أفتح ملفات أخرى فأجد أنها جميعاً متشابهة. وحرّى بالذين يطلبون تأشيرة دخول أن يطلبوا تأشيرة خروج كسباً للوقت. ومعظمهم من الألبانيين الذين يعيشون في المنفى وقد ألمّ بهم حنين العودة إلى موطنهم ليموتوا فيه! إلّا أن السلطات ترفض تلبية هذه الرغبة الأخيرة، ذلك أنّ الرصاص عزيزٌ وغالي الثمن في تلك البلاد المذهلة ويحتفظ به بالأولية للسكان المقيمين. لا بد أن حملتي الاستطلاعية قد أضجرتكم ولكنكم تعلمون جيّداً مقدار تمنّع سان أنطونيو ودقته في إنجاز مهامه. لذلك أدقق في الملفات، الواحد تلو الآخر متمعناً بكلّ الصور وقارناً كلّ المعلومات الواردة في القسائم.

وكنْتُ منهمكاً في مطالعة الملفِّ الثالث والأربعين حين جحظت عيناى وفُغرَ فمى واتسعت فُتحة منخري وتصلَّبت عضلات ظهري وتشنَّجت أعصابى وانعقدت شرايينى وجمدت أصابع قدمى، وأقشعرَ بدنى ووقف شعُرُ رأسى واختلجت أذنائى، وتسارعت خفقات قلبنى وتلاحقت أنفاسى وجفَّ حلقي واضطربت معدتى وتشوَّش وعيى. وما الذى يُحدث فيَّ هذا السلسل المتلاحق من الاضطرابات؟ أقول لكم؟ لا لن أفعَل: لن تصدِّقوا كلمة مما سأقول. وستزعمون أننى مفرطٌ في المبالغة، وأن كلامى لا يخلو من شبهة مغرضة وأن حرارتي جاوزت الأربعين. ولذلك أفضل أن اكتم عنكم اكتشافى.

ماذا؟ اتقولون إننى لا أفي بالوعد؟ صوبوا السنتكم على الأقلَّ إذا كنتم عاجزين عن صون نسانكم. فأنا الهمامُ طلاع الثنايا الذى تعرفونه لا أقولُ أفَّ ومَن يطلبننى يجدننى. لا أفي بالوعد، انا! وبأية حال، ربَّما كنتم على حقِّ.

إذاً، حسناً سأخبركم، ولكن لو تنطع منكم من يكذب كلامى فسأجعلُ منه كومةً من معجون أسنان، هل اتفقنا؟ ما رأيته بين الملفات، يا أبنائى، هو صورة بينو. اعترفوا أنكم صُعقتم للخبر، اليس كذلك؟ انه خبرٌ غير متوقع! أوتعلمون برفقة مَن؟ لا يحدثُ لسانكم فقاعةً لا؟ ليس لأنها مثيرة، لاحظوا جيداً، ولكنها مقبولة. إذاً بينو يظهر فى الصورة برفقة فتاة سمراء فاتنة ترتدى بلوزة بيضاء ولها جديلتان تتدليان حتَّى أسفل ظهرها. وتُدعى راعية المفاتن ياباكسا دانلافي. وهى سكرتيرة مُجازة من كلية الآلات الكاتبة فى باريس.

اطوي ملفي وأدسه في جيبي. وللتو أسمع صوتاً يهمس من
ورائي:

ـ لو سمحت، أرفع يديك!

يتناهى الصوتُ عذباً وإن شابته نبرة أمر، فأستدير نحوه. وإذا
بي قبالة رجلٍ شاحب السحنة قليل الشعر وقد سرحه فوق صلعته
اللامعة، ويبيديه مسدّسان من العيار الثقيل. وصدّقوني عندما
يحمل الرجلُ مسدّساً في كلِّ يد فهذا يعني أن الأمر ليس مجرد
دعابة وأنه لا يفعل ذلك ليُشفي ضحيته من نوبة فواق. يرتدي
الرجلُ ردين مدعوكين وسروالاً في حالةٍ مماثلة. من المؤكد أنّ السيد
كان نائماً في حجرةٍ مجاورة برغم أن هذه القنصلية ليست مجهزة
للسكن وتكاد تكون عاريةً من الكسوة (كما كان يقول أحد
أخصائيي الأمراض الجلدية لمريضٍ أصيب بحروق من الدرجة
الثالثة). ولكنّ الرجلَ كان ينامُ يَظْطاً (يا للمفارقة) ولا يغمضُ سوى
عين واحدة. والآن تراني قبالة هاتين العينين اللتين ترمقانني. وأيَّ
عينين، يا إخوتي! عيار ١١,٣٧! وعندما يلفظ أعبته الآلية يحيلك
إلى ما يُشبّه قيل نائم! ولو أن محدثي أصيب بتشنج مفاجيء بسيط
في عضلة سبّابته لجعل المؤرخين ينكبّون على سيرتي وستكونُ سيرة
كاملة حتّى الفصل الأخير.

رفعت يديّ وقلت له:

ـ أرجو المعذرة لأنني أيقظتك.

ـ لا بأس. إن نومي خفيف جداً، أجاوب الوافدُ ثم نادى:

ـ كلوترنا!

مرت ثوان قبل أن يُفتح الباب المضي الى الردهة. ويدخل منه رجل لا يقل ارتفاعه عن ثلاثين متراً، وأيقنت عندها أن القنصلية مُكتظة بالعاملين.

للوافد الجديد شعر طويل يصل الى منتصف ظهره وأنف أفتس وحاجبان كثَّان وشاربان من شأنهما أن يقتلا فرسانجيتوريكس^(*) غيظاً وحسداً.

يصدر الرجل ذو المسدسين أمراً فيدنو العملاق مني ويتراءى لي ظله وهو أضخم وأشدَّ هولاً من جبال الهملايا. لا أستطيع القول إنه لطيف، يا إخواني. وجهه قناع، يا قتيان! جبينه مَسَاحَة! ولجرد أن يُطبق بقبضته على رأسي تطايرت علبة نخاعي شظايا وكسوراً.

إلا أنه لم يستخدم قبضته وإنما عاجلني بضربة ساعد على وجهي. واسمَّيها ضربة ساعد جوازاً لأنها في الحقيقة ضربة مرفق، فشعرت برلزلة كأنَّ قاطرة قد قَبِلَتْ ثغري. وإن تغاضينا عن السهو والخطأ فلا بدَّ أنْ جِئْتُ قد قذفت الى الحجرة المجاورة.. فوجدت نفسي طريح الأرض. ومع ذلك، ویرغم عنف الصدمة، لم أفقد وعيي. واحسستُ أن دماغي صارَ مثل عجلة تدور وتدور داخل جمجمتي ولا سبيل لایقافها أيها الرفاق.

خلال هذه الغشاوة المدوّخة لمحت السيد إفرست^(**) منحنياً فوقي. ويلمني كما يلم البشر الاسوياء جورباً قديماً، ويثبتني فوق

(*) جنرال وزعيم غولي (٧٢ - ٤٦ ق. م) تزعم الغوليين في مواجهة قيصر. اشتهر بشاربيه الكَثِين.

(**) نسبة الى أعلى قمة في العالم بجبال هملايا، يبلغ ارتفاعها ٨٨٤٨ م.

كنبة ويدسّ يديه في جيوبه. ويُجرّدي من مفتاحي السحري ومحفظتي ويهتدي الى مسدسي الأتوماتيكي. تنقشع عندها الغشاوة الدوّارة عن رأسي قليلاً. وأصبح بإمكانني أن أرى بشيء من الوضوح. أخذ كينغ كونغ الألاباني يراقبني من وراء أجفانه الكلفاء. ولن يُقنّعني أحد منكم بأنّ هذا الفتى لم يشبّ على حليب «المون بلان»! فمن يرغب في احتواء جثته كاملةً، بنظرة، لن ينجو بالتأكيد من رعشة الباركنسون.

وفي الأثناء يعمد رفيقه الذي حرّر إحدى يديه من ثقل إحدى غذارتيه الى التدقيق في أوراقه. ليكتشف أنني شرطي، إلا أن اكتشافه هذا لا يبدّل شيئاً من حياد سحنه. فيدنو من المكتب ويرفع سماعة الهاتف ويدير قرصه بضربات متتالية. يُسمع زنين الهاتف طويلاً في الطرف الآخر قبل أن ترفع السماعة. وفي آخر الأمر يجيب صوت رجل يُغالبه النعاس:

— هالوو! ما يعني بالالابانية: ألو.

وعندئذٍ يطلق الرجل ذو المسدسين رَشَقاً من العبارات بشأني. وتعقب ذلك فترة صمت. ثم يُصدر الصوت البعيد أمراً. وتنتهي المخابرة. يُعطي رجلُ المسدسين مُسدّسه للهملايا الذي تجسّد رجلاً ويغادر. كلُّ هذا يشبه أن يكون كابوساً. فحتى الآن لم يخاطبني الرجلان بكلمة واحدة. فاقول في سري لا بدّ أن أحاول شيئاً للتغلّب من هذه الورطة وسرعان ما أقنع نفسي أنّ وجود الرجل — الجبل يجعل الأمر مستحيلاً. أبسط حركة، لا بل أبسط رعشة تبدر من شخصي الكريم، ستجعل مصيري الشتات، أعني بعثرة كياني في الأرجاء.

يعودُ رفيقه ويبيده حقنة. آه كم أبغض هذا! أبغض الحقن من
يد طبيب العائلة فكيف تكون حالي إذا لعب هذا الرجل المقيت دور
الطبيب، أحسبُ أن فرائصي ترتعد.

وأعلم أن السائل الذي تحتويه الحقنة ليس إكسير الفيتامينات
أو محلول الكلسيوم. يريدون استعجال نقلي الى الملا الأعلى برفق،
ودون ضوضاء. ويعد ذلك يتكرّم هذان السيدان بإيداع لحمي
الميت في برميل نفايات لائق. أمّا أنا، لو كان لي أن أختار، فأفضل
ألف مرّة طعم الرصاص الذي يليقُ برجولتي. ولكن كينغ كونغ
القنصلية يُعاندُ رغبتِي الأخيرة ويُطبقُ بقائمه الامامية الهائلة على
خناقِي ويثبتني الى مسندِ الكنية.

أرى الالاباني الآخر منكباً على حالتي ويبيده الحقنة الشمطاء.
انه يوم أجلك يا سان ا. وداعاً للفتيات والاحاديث المَغْرَزة
بالتلميحاح. لقد حان وقت الحساب، يا بني. فأغمض عيني. إني
حزين. أن اقضي في زهرة العمر وما زال العالم زاخراً بهذا العدد من
القناني والفتيات؛ يا للإحباط!

ولكن في آخر المطاف، ينبغي أن نفسح في المجال للأجيال
الصاعدة. إذ ينبغي أن يخلي السلفُ الصدارة للخلف. اليس
كذلك؟

اشعر بالإبرة تنغرز في لحمي فتنتابني قشعريرة. وفي اللحظة
تُفرّقعُ رَشَقَةً لطيفة. أربع رصاصات. بان - بان - بان - بان!
الحسابُ دقيق، أليس بلي؟ بلي؟ حسناً! يُردى طاعمُ الحقنة ويتهاك
على رُكبتِي. ويدعُ الحقنة مَغْرُوزَةً كالوتدٍ في لحم ذراعي. ولحسن

الحظ لا يزال السائلُ في داخلها. وماذا عن كينغ كونغ، أيها السيدات والسادة؟

أقول للعلم والخبر، إن كينغ كونغ أصبح هو أيضاً خارج اللعبة. لقد مُنيتْ سحنته الهائلة بثقيين ومَهْمَا كان اعتزازه بغلظة راسه فقد طحنت رصاصات بيرو نُخَاع مولده. ذلك أنكم علمتم بلا ريب أن البدين هو الذي فتح باب جهنم. كأنه أحد آلهة الأولب وسيُلقى لهباً.

- يبدو أنني وصلتُ في اللحظة المناسبة، مرّةً أخرى، اليس كذلك؟

نهضت لأعْيَنَ الضحيتين. رأسُ عجلٍ بخلّ العنب، تمثال جان دارك، مومياء رمسيس الثاني، وحتى فقرة من معجم الاكاديمية الفرنسية قد تفوقهما حياةً وحيوية.

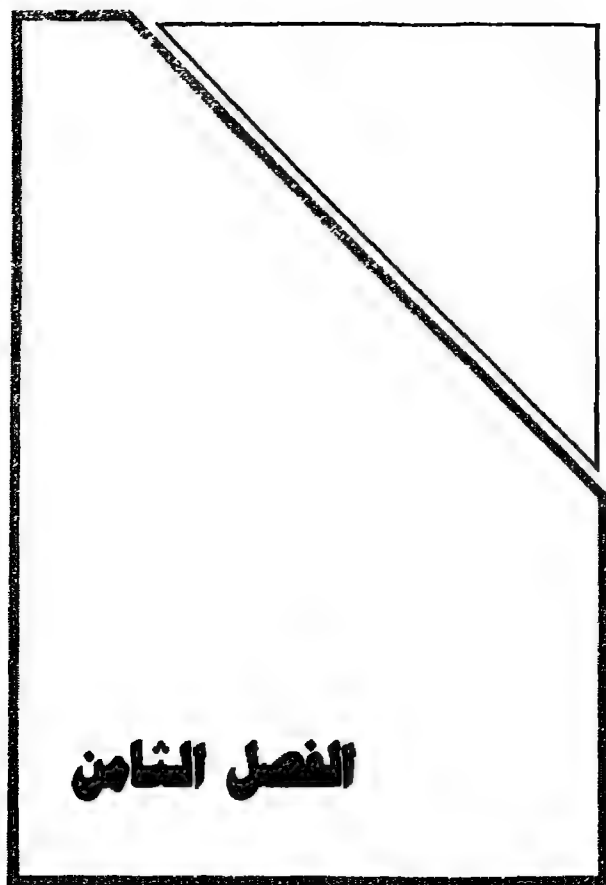
- هيّا بنا! قال بيرو. سيشتدّ أجيح الأسلحة. كنتُ أحسبُ أنك ستسبّب حريقاً إشكالياً، لقد نجونا، اليس كذلك؟

وتدحرج نحو المدخل الذي أصبح على هذا النحو، مخرجاً.

أننزَعُ الحقنة من لحمي وأستردّ مسدسي ومحفظتي ولحقت به. لقد بدأت الحركة تدبّ في المبنى. وقد لا نتمكن من الفرار قبل أن يهرع السكان من جحورهم.

نهرع بلا وعي الى السيّارة. وانطلاقة مكوك فضائي. ثم سباق في شوارع باريس.

- هلاً ذهبنا إلى مطعم «ليب»! يتوسّل البدين. اتحرّق لمذاق الشوكروت!



طبّقان مزدوجان! وتُعينني الأنوار الساطعة على استعادة قواي.
يكرع البدين كويّاً عملاقاً من البيرة ويطلب واحداً آخر.
- إنه مفيدٌ للمثانة، يقول مفسراً. فالمثانة مثل البقية: تحتاج من
حين لآخر لعملية غسل!
كلُّه غبطة، صاحبي الهائل. ولكن فجأةً كم يبدو لي ضامراً إذ
تترأى أمام عيني صورة الغوريلا الألباني.
كانّه البوذا الصغير، بمعنى ما.
- أشكركُ لك مبادرتك الجميلة، قلتُ له وقد غرزت شوكتي في
أصبع نقانق غليظ.
- انتظرتك طويلاً فساورني القلق، قال البدين شارحاً. أعتقد أن
الحرب ستقع بيننا وبين الألبانيا؟
- أمل أن لا تقع.
- إذا حدث أن نشب نزاع دولي بسبب فعلتي هذه فساأشعر
بتبكيك الضمير طيلة عمري، قال صاحبنا متشككاً.
- لا تقلق، سينكتمون حول الأمر. فمن مصلحة مجانين

القنصلية ان لا تثار الحادثة في العلن. ويبدو واضحاً إلى الآن أنهم يحرصون على تجنب أي دعاية.

وننصرف الى التهام أطباق الشوكروت صامتين، فيما تستغرقني دعةً ولا أعذب.

إنه لأمرٌ ممتع أن يتلذذ المرء بطبق شوكروت لدى «ليب» بعد نجاته العجائبية من الموت. وبعد العشاء نقلت الرجل البدين في سيارتي الى داره وعدت ادراجي الى المكتب لأطلع العجوز على آخر المستجدات. يبدو لي أنه هو أيضاً يخشى الحريق الاشكالي، كما يقول بيرو.

- كنت تستطيع أن تتلافى الزيارة الى مكاتب القنصلية، قال مُحْتَجاً.

- إلا إنها أتاحت لي أن أعر على هذه الصورة، أيها الرئيس.

ثم أمعن النظر في صورة الفتاة ذات الجديلتين وفوجيء مثلي عندما شاهد بيرو برفقتها.

- يجب أن نحصل على بعض المعلومات حول هذه الفتاة، فعليك ببيرو.

- سأفعل. ولكن هلاً أصدرت أوامرك للزملاء الذين سيتولون التحقيق بأن يغضوا الطرف قليلاً؟

- بالطبع، يغمغم الحيزيون. ولكن تصرفك هذا يضعني في موقف حرج يا سان أنطونيو، إنك فقدت بعضاً من حسن الدراية!
- النتائج وحدها هي التي تحسم الامر! أرد الكيل كيلين.
- بالضبط، ولكنني أخشى أن تكون النتائج غير مقنعة!

- سوف نرى! قلت مواجهاً التحدي.

- فليتكلم بسرعة! قال الرئيس حانقاً.

- أتأذن لي بالمغادرة؟

- أرجوك!

ورحت أسرع خطواتي في اتجاه الباب حين دوى صوت
الحيزبون:

- سان انطونيو!

*

* *

الشرطي الذي يحرسُ باب بينو يغفو كما يغفو شرطي في نوبة
حراسة.

فأرّبت على كتفه ففتح عيناً يُعكّرها السُّبات.

- ممنوع! قال متثائباً.

هاكُم الشرطي الذي يحسب أنه يحرس خندق معركة فردان.
فألصقت بطاقتي بعينه حيث تسارعُ إلى تصويب جلسته مما جعل
كرسيه على وشك السقوط. وأدلف شامخ الرأس الى وكر بينوش.
أجد المسنّ هاجعاً في قفص الجص الذي يؤويه. طرقت على أحد
جانبيه فدعاني الى الدخول.

أجبتُه أنني لا املك المفتاح فأكد لي أنه سينزل بنفسه
لاستقبالي. وفي آخر الأمر زالت غشاوة النوم عن رشده ورآني.

- أنت مجدداً! قال معاتباً.

– مجدداً أنا.

– في الوقت المناسب، أيزعجك أن تحكّ لي محيط سُرّتي؟ يكاد الأكلان يقتلني.

– في المرّة القادمة سأحضر لك مبرشة أجبان، قلت بنبرة جادة، أو إن شئت سأحضر لك ملجأماً فقد يكون أكثر فعالية.

بعد أن حككتُ الموضع المشار إليه أطلعت على صورة الأنسة ذات الجدائل.

– أتعرف هذه الأمازونية؟

– طبعاً، لقد كانت سكرتيرتي في مكتب التحريّات الخاصّة الذي كنتُ أديره. تُدعى ياباكسا دانلافي. إنها فتاة فاتنة لا تعوزها الكفاءة أو الصدق كما ترى جيّداً في الصورة انها ذات مظهر مُلغّت.

– اهي الابانية؟

– ليس في حدود علمي، قال بينو مندهشاً. فهي تتكلّم الفرنسيّة بطلاقة الفرنسيين!

– هذا لا يعني شيئاً، فلا بدّ أنّ والديها يُجيدان الالابانية، أين تقيم هذه الفتاة الجميلة؟

– في شارع سان مارتان، الرقم ٤٤.

– سأذهب لزيارتها صباح الغد. وأعتقد أنني أدرك الآن السبب الذي يدفع هؤلاء الالابانيين الى محاولة قتلك.

– وما هو؟ يقول بينوش في صيغة سؤالٍ يكاد يشبه فصاحة بيرو.
– عندما ذهبت اليهم في زيّ زجاج، تمكّن السكرتير الذي يمتلك

ذاكرةً بصريةً متمرّسة من التعرّف الى وجهك، وهو، لعمري، وجه
مميّز بالفعل. فسارع الى التدقيق في صورة الملفّ. وبما أنّه ليس
بالرجل الاحمق فلا بدّ أنّه فكّر على النحو التالي: «إنّ هذا الرجل
الذي يُحاول خداعنا يقف في الصورة الى جانب احدى مواطناتنا.
ويبدو في الصورة أنّهما صديقان. فهل يكونُ الرجلُ الابانياً؟ وإذا
كان الابانياً فلا بدّ انه فهم ما كنت اقلوه عبر الهاتف. ولذلك ينبغي
اسكاته مهما كلف الامر».

– وهل كان حديثه على هذا القدر من الاهمية؟

– لا اجدُ تفسيراً عقلانيةً آخر، يا ابي الطيّب. حسناً، ادعك الآن
تكمل ليلتك الهانئة. وأرجو أن تلتحم عظامك ثانيةً يا بينوش.

– مهلاً، مهلاً، حككت لي باطن قدمي؟

– قليلاً، اقولُ بصراحة، فأنا لا احملُ قفازاً.

وهكذا غادرته وهو عرضة لطفح الاكلان.



وصلت الى منزلي وتوجّهت مباشرةً نحو الثلاجة حيث كرعت كوباً
كبيراً من الحليب المتلجّج. فالحليب قبل النوم، ليلاً خير غذاء (كما
كان يقول الرئيس هيريوي). ثم اصعد الى غرفتي على رؤوس اصابع
قدمي. الغطاء القطني المطبّع، سرير الخشب المشمّع، وقطع الاثاث
القديم الملمّعة بعناية فيليس وهذه هي زمرة الاصدقاء المرحّبين
بعودتي فتطمئنن نفسي. أندسُ بين شرشقين نظيفين وأدلفُ الى

النخير الوادع مصحوباً بأحلام الزرقاة والمنظرُ الأخاذ المطل على
العدم.

*

* *

استيقظ في صبيحة اليوم التالي وأجدُ الطقسَ رائعاً. الشمس
متوقدة، وصغار العصافير تواصل تدريبها لامتحانات الدخول إلى
سكالا ميلانو، والسماء الزرقاء تشبه بيرق «أبناء مريم». وبفجأة
أأخذ قراراً بطولياً. قراراً لم أأخذ مثيلاً له من قبل: وهو أن أمكث
في المنزل.

نعم يا إخواني، والليبي من الإشارة يفهم، صاحبكم سان
انطونيو، المقدام الذي يُعثر الأحنك محطمة ويكشف الألغاز
المقزعة، يُبدي فجأة رغبته في أن يلعب دور الرجل القعدة. ويشعر
بالحاجة إلى هدنة الوقت الميت ببعد مُسلسل التورط في أشد
القضايا خطورة. وأقول مخاطباً نفسي لا يكفي أن تؤخذ الدنيا
غلاباً. فالحاجة ملحة أحياناً لدعة التبصر كما هي الحاجة أحياناً
أخرى للتصرف بسرعة. فليس تصنع كوباً من الكاكاو المنزلي في
المطبخ. ورائحة الخبز المحمص تعبق في الأرجاء. فأمسك بكتفي
والدتي الطيبة واقبلها قبلة الصباح الأولى. فتستدير مُبتهجة وإذا
تجدني في بيجامتي تتمتم بصوت لا يجرؤ على التمادي في رجائه:

- لست على عجلة من أمرك هذا الصباح؟

- لا، يا أمي. اليوم إجازة. أريد أن أعتنى بالحديقة.

إنها فرحة فيليس الكبرى. وتمكث مشدوهة لفرط تأثرها.

أميمتي المحبوبة، فينتهزُ الكاكاو غفلتها عنه ليدلق فورانه
المفاجيء. لكنَّ الوالدة ليست من طراز النساء اللاثني يربكهنَّ تمرُّدُ
وعاء الكاكاو. فتصدُّ المحاولة ببرم مفتاح الغاز بحركةٍ مباغتة.

- أحقاً يا بني ستمضي النهار هنا؟

- إنه وعد يا أميمتي.

- إذاً سأحضّر لك فتائل من سمك السومون بالنبيذ الأبيض
المعطر والكلّي المقلّية!

- بعد ذلك سأبدو متنكراً بمظهر بيروبي، يا أميمتي، بطعامك
المقنن الدسم!

وها وجهها ينضجُ غبطةً، أميمتي العزيزة.

انتكّر في زيّ بستانني وأقصد الحديقة أشدّب خضرتها. وهنا
بزاقة تشهّرُ قرنيها، وهناك نحلة تلعبُ لعبة المهترّ، إنه صباح جميل.
أثرون، يا زمرة المحزومين، اننا هجرنا الطبيعة زوراً. نحيا جميعنا
فوق صاروخ أطلس ونزبدُ ونرغي لأنّه لا ينطلقُ بالسرعة الكافية.
ينبغي للمرء أن يصرفَ مزيداً من الوقت للاعتناء بحديقته ولمراقبة
شُغلِ النحل. وإلى جهنّم قنصلية الابانيا وطغمتها الغربية حيّة
ترزقُ أوميّة.

أسأل في سري كيف أحوال هؤلاء السادة. ولكنّ سؤالي ليس
ملحاً ولا أبالي بالإجابة الشافية. حتّى أني لا أكلف نفسي مشقّة
الاتصال بالعجوز لسؤاله عن المستجّدات بهذا الشأن. أكزّر لكم
أن يومي هذا مكرّس للاسترخاء والراحة.

انتزعُ بعض الأعشاب البرية ريشاً أتمرّسُ بالعمل اليدوي.

ولكن لا مأخذ لي على أشواك النجيل، يا فتیان. ففي آخر الأمر ليست سوى نبتة تضاهي سواها. إنها مجرد وجهة نظر (وأي نظر أحسرا!) أن تصنف النباتات والحيوانات بين رديء وجيد. فلماذا لا تكون الأفعى بمنزلة الكلب؟ ولماذا لا يكون القراص بمنزلة الكرب، أسأل؟

تصل السيدة سوغرونو مدبرة المنزل، بسترتها السوداء وسلة مؤنها. إنها عجوز صغيرة يُشبه أن يكون رأسها تفاعلة متعفة. وصوتها أشبه بدواسة صدئة. عبر النافذة يتناهى الى سمعي صوت ثرثرتها، أميمتي والسيدة سوغرونو وهذه الأخيرة تجيد الحديث من طراز: «لم تمهلني الحياة هدنة». المآسي في كامل حلتها: مؤسسات الرعاية الاجتماعية، الزوج المدمن على الكحول، الابن الذي قُتل في الحرب، والابنة التي هجرت البيت برفقة شقي. فما إن يتهدي الباري الى أجرة جديدة حتى يرمي بها على رأس الأم سوغرونو. فواتير الضرائب المستحقة، الحجوزات العقارية، قطع التيار الكهربائي، أعطال الفرن، المواعد المنهارة، نصيبها من الدنيا، هذه المرأة المسكينة. ومع ذلك، يجب أن نقر أن المواعد لا تنهار بسهولة. والحال أن مدخنة التلسة سوغرونو تنهار كأنها جرف قطبي ولا تخطيء حجارته دراجة الزوج المركونة بدعة عند الرصيف. الطامة الكبرى، فعلاً! والأشد قسوة، كما تروي الحيزبون، أن تعتاد على الأمر. وبعد ذلك تصبح الأمور مجرد عادة. فما إن تمضي ثمان وأربعون ساعة دون أن تعترضها مصيبة حتى تتوجس شراً وتقيم على انتظار الأسوأ. وعندئذ يستجيب القدر لتوجسها فيسحق هزها أو يمن عليها بورم ليفي من طراز الخاص بفرنسا. وتؤكد فيليس أن الباري تعالى سيجلس الأم

سوغرونو الى يمينه فور انتقالها لتدير دارة السماء. أمّا أنا فاقول
إن قناعة أمي ليست يقيناً. وأراهن من يشاء أن خطأ ما سيجعل
أحد الملائكة يُرسلها مباشرةً الى حاضرة إبليس.

إنها تروي قصّة الكناري الذي نفق خلال الليل. إلّا انها لا
تبكي، فقد استنفذ الزمن دموعها فجفت. وبرغم ذلك كان الكناري
رفيق وحدتها، وهو الوحيد في العالم بأسره الذي يُجيدُ عزف
المارسيّا^(*) صغيراً. ويبدو أن الحماسة كانت تتملكه فور سماعه
صوت الجنرال^(**) عبر المذياع. وما جرى هو التالي: لقد وجدته في
مؤخر قفصه، جثة هامدة فوق حبوب الذرة البيضاء. قضية محزنة،
ليس كذلك؟ تقطر عينا فيليس دمعاً. فترتسم معالم البهجة على
وجه الأم سوغرونو، فهي تعشق أن يرثي الآخرون لحالها: إذ تجدُ
في تعاطفهم عوضاً ما تعانيه جزاءً.

ورغبةً في مؤاساتها تملي عليها فيليس وصفة فتائل سمك
السومون بالنبيذ الأبيض المعطر. وتبدي الأم سوغرونو اهتماماً
بالغاً فهي لا تعرف من أنواع الأطعمة إلّا البطاطا والمعكرونة.
وتطلب من فيليس أن تدوّن لها التعليمات على قصاصة ورق لأنها
مهتمّة بهذا النوع من الوصفات. ويبدو أنّها جمعت منها الى الآن
ما يملأ دفترها من الحجم الكبير. بدءاً بقحاطة ذنب الكركند انتهاء
بفخذ اليجمور المشوي وسلطة هاواي وحساء الهليون. وتؤكد أن
وجود مثل هذا الدفتر ضروري تحسباً لضيف طارئ أو وليمة.

(*) النشيد الوطني الفرنسي.

(**) شارل ديغول.

سوى أن الضيوف الذين تستقبلهم هم مأمور الضرائب وجابي
الغاز وجمهرة أخرى من الموظفين الذين تؤدي زياراتهم في الأغلب
إلى صد شهيتك للطعام.

ولكن لا بأس: مع ذلك لا ينال منها القنوط. إنها في سر العناد.
أغمض عيني مُستسلماً لدعة شمس الربيع. فمن حديقتنا
تتصوّع روائح الأرض الرطبة والشجيرات المزهرة. وها جرس
الهاتف يرن. فتوقف الامراتان حديثهما. ويكف الجرس عن الرنين.
ثم أرى أمي واقفة في الباب وقد ارتسمت على وجهها ملامح توجس
غامض.

- المخبرة لك يا أنطوان: إنه السيد بيرونييه.

- قولي له أن يدعني وشأني! أجبتُ قائلاً. اختلعي أي
ذريعة: قولي إنني مريض أو إنني منكم بنقاشٍ حادٍّ مع وزير
الداخلية أو وزير الخارجية إن شئت، لا فرق.

فتبدو منها زفرة ضيق. الكذب ليس أفضل ما تجيده أمي. فهي
تأنف من استخدام هذه الوسائل حتى لو كان الغرض منها
استيقائي في المنزل طيلة يوم كامل. ومع ذلك تتواري. وتعود
الأشياء إلى مسالك الدعة الصباحية. نحتلي غادرت إلى الحديقة
المجاورة. وألاحظ للمناسبة أن الجيران قد استبدلوا الخادمة
بأخرى. الأولى التي كانت تعمل في خدمتهم (وخدمتي) كانت فتاة
قصيرة القامة سمراء وسوقية المعشر لا تتوانى عن سرقة ما هو ثمين
وخفيف.

استبدلوا تلك الخادمة القادرة على كل شيء (كل شيء بالمطلق).

ببقرةٍ بدينة صُنِعَ مقاطعة بروتانية قد يبلغ وزنها طناً وتشبه ب. ب.
(أقصد برت بيرونيه). وأراها الآن منهمكة بنقض سِجادة فارسية
مزينة، نسجت بواسطة آلات حديثة يديرها متقاعدو شركة الغاز.
وتحدثُ في غمرة انهماكها قدراً من العصفِ بحيث تثير الرعبَ في
روح جاراتها القريبات اللواتي يحسبن أنه أوان العاصفة فيغلطن
مصاريعهن على عجل.

تُرى لماذا يتصل بي ذلك الهائل؟ لقد زرع وسواساً خفيفاً في
روعي. وتساورني بعض مشاعر الندم. تبدأ هذه المشاعر عادة
بانشغال الفكر. في البداية لا تكونُ إلا مجرد وخز خفيف، ثم لا تلبث
أن تشتدَّ حتى يضيقَ بها صدرك.

تدفعني قوّة قاهرة الى عتبة المنزل، حيث أجد السيّدة سوغرونو
وفيليس منهمكتين بمسح أرضية الردهة. السيّدة ذات الكناري
الميت تغسل البلاط بالفرشاة، فيما تعتمد أُمي الى مسح المياه
بالمسحة.

وخلال انهماكها بالعمل تحاول السيّدة التعسة أن تلخّص حالة
التهاب الدوالي التي أصابت زوجها. يبدو عليها الحصر.

— قولي لي يا أميمة، أقولُ مقاطعاً، ماذا أخبرك الرجل البدين؟

كانت تتوقع سؤالي، فيليس النبيهة التي تعرف جيّداً كم أعاني
من تآنيب الضمير. فهي تعرف جيّداً كلّ خصال صغيها سان
أنطونيو.

— يبدو أن المدعو...

تبدي بعض التردّد فتتورّد وجنتاهما ثم تتابع:

... ان المدعو مورييون حاول الاتصال بك في المكتب. ويبدو
أن الامر ملح.

دوى في مؤخر علية ضميري ما يشبه جلبه كيسٍ فزرتة يدُ
غاضبة بعد نفخه. فتوجهت بحركة آلية نحو الدرج.

... أعني هذا أن لا ضرورة لفتائل السمك؟ تسأل أمي.
لا اقوى على الرد فأهز برأسي يائساً وأصعدُ لارتداء ملابسي.



وجدت حاجبة المبنى حيث يُقيم مورييون منهمكة بتلميع
شمعدان نحاسي لحظة انعكاسِ صورتي الشبحية على زجاج
حجرتها.

... السيد موبوي، بادرتها القول...

... الطلبة السادسة لجهة اليسار!

... أعلم، لكنّه غير موجود!

... وما شأنني أنا؟ تسأل السيّدة الكريمة.

ادقق في سؤالها وأقلّبه على أكثر من وجه وأخلصُ الى الإقرار
بأنّه لا يتضمّن أي ردّ إيجابي.

... هل رأيته مغادراً؟

... لا. ولكنني تغيّبت لمدة ساعتين.

... شكراً...

وأمّهم بالمغادرة حين تقع عيناوي بمحض المصادفة على منضدة

خشبيّة صُفّت عليها رسائل المقيمين في المبنى. والملح بطاقة بريدية
وقد دُوّن عليها بأحرف مائلة وغير منتظمة اسم موربيون وعنوانه.

فأستولي على البطاقة لأتفحصها عن كُتب.

- إفعل ما يحلو لك! تصرّخُ الحاجة باستياء.

فأقبل نصيحتها وأقرأ:

«حضرة الأستاذ العزيز،

أمل أن تتماثل للشفاء في وقتٍ قريب لتعود إلينا في المدرسة. لقد
عَيَّنوا أستاذةً لأعطاء الدروس في فترة غيابك. إنها لا تُضاهيك في
شيء. الآخرون يضمُّون إلى أمنياتي أمنياتهم الصادقة بالشفاء
العاجل.

من قبل بول ويري والبير ومن قبلي أنا، فيكتور ليكوبيه..

على البطاقة صورة قطّة أنقورية بقرب جهاز هاتفي.

- يا لبرود أعصابك! تصرخ الحارسة المهددة. وماذا لو
استدعيت شرطياً ليلقنك أصول اللياقة؟

- عندئذٍ تقترفين خطأ لا يُغتفر، يا سيّدي العزيزة، قلت جازماً.
إذ لا يبدو لي أن شرطياً ما يستطيع أن يُلقن أحداً مثل هذه الدروس
الدقيقة، ثم عاجلتها ببطاقتي فهدأت على الفور.

- حسناً، أما كنت تستطيع أن تخبرني من قبل؟ ما الأمر؟

- في أي ساعة يصل البريد؟

- عند الثامنة...

- حتّى لو تغيّيت يستطيع سكان العمارة أن يأخذوا رسائلهم

عبر هذا الشبّاك، أليس كذلك؟

- بلى.

- والسيد موبوي لم يأخذ بريده حين غادر.

- لا.

- أمر غريب، أليس كذلك؟

- بلى.

- هل أنت واثقة من أنّك لم تشاهديه؟

- لا.

- ربّما من المُستحسن أن أصدق ثانية؟

- أجل.

- إن سمعه ثقيل بعض الشيء؟

- أجل.

وإذ أشعر بأنني لستُ بارعاً في لعبة كرة الطاولة هذه تركت السيدة لأصعد الطبقات الستّ مرّة ثانية. وأقرع الجرس مجدداً حيث لاحظت أن رنينه المسموع في هذا المبنى البورجوازي يُشبه قهقهة مفاجئة أثناء القدّاس في كنيسة.

ولم أسمع جواباً سوى مواء القطط. وفي مثل هذه الحال، ليس لي إلّا أن الجأ لعجائب مفتاحي السحري «سسم!»، المقدام، أليس كذلك يا جيراني؟ وسرعان ما يتضح أن قفل باب موربيون متهاك مثله. ولا يحتاج لأكثر من شوكة طعام كي يبتلع لسانه... ولم يستغرقني أطول ممّا يستغرق الدبّاغ في تحويل أرنب إلى فروة فيزون. فيفتح الباب وتهرع القطط مواءة لتندسّ بين ساقي. أنفق

انحناء الشقة مدفوعاً بتوجّس غريب. رائحة العفن تزكم الأنوف في شقة موربيون. ومن شأن قططه أن تكون استثماراً جيداً لشركة إيريوك للسجاد. ولكنّ الغريب أنني لم أعتز في الشقة على ما يبرز مخاوفي. الشقة خالية. ولا أثر لموربيون فيها كما قد لا تجد أثراً لما رقي في جامع. تفحصت كلّ زاوية وركن، تحت السرير، داخل الخزائن وفي أدراج الكومودينة، لكن عبثاً.

وإذ عاودني الارتياح قصدت النافذة المواجهة للقنصلية فتبدو واجهاتها محايدة كأنها قنصلية سويسرا. إلّا أنّ شيئاً ما، لا أعرف ما هو بالضبط، يُقلقني ويضاعف حيرتي. فأقول مخاطباً نفسي دون مُراعاة أصول اللياقة: «ما الأمر يا سان أنطوني؟ ما سبب هذا الضيق الغامض الذي ينتابك؟».

لم أجب عن سؤال. تبدو الشقة غير مرتبة وفي حالة فوضى، إلّا أنها فوضى موربيون المعتادة. وبرغم أنّ القطط ينبغي أن تضفي مناحاً من الطمأنينة إلّا أنها تُشيع في الأرجاء مسحة من الكآبة. لنزّ قليلاً: هذا الصباح اتصل موبوي بالمكتب وأراد أن يحدثني بأمور ملحة وعاجلة. فما هي هذه الأمور؟

ثم غادر المبنى وقد نسي تماماً وهو الرجل المنظّم والدقيق، أن يأخذ رسائله من حجرة الحاجبة.

إنه أمر يُثير الريبة.

أوه، بالطبع، إن الحمقى من أمثالكم لا تستوقفهم مثل هذه التفاصيل الدقيقة، فبإمكان أحدكم أن يقتعد فرنأ متوقداً دون أن يشعر بلسع ناره. إلّا أن الكوميسير المحبوب يعمل تحت شعار التآني والدقة، فهو يمتلك حساسية مُقتحم الخزائن الفولاذية.

فدقائق الأمور هي صنّعتة ومراده. وبما أنه يمثل حساسية الفيلم الفوتوغرافي، يقف هنا حائراً، يسأل نفسه عما يجري وراء المظاهر ويبحث عن السبب.

اتخذ قراراً بالعودة الى المكتب لمقابلة بيرو. فماذا لو أن موربيون العجوز قد زوّده ببعض التفسيرات؟

وفي طريقي الى الباب بلغت قطنتي التي يُضرب بها المثل^(*) ذروتها. إذ اكتشف فجأة مصدر الاضطراب في أجواء الشقة. أوه، إنه تفصيل دقيق يا أبنائي: لقد انتزع رَقاص الساعة ووضع، بغباء ظاهر، بقريها. وبدت العقارب المتوقفة تشير الى العاشرة إلا ثلثاً. فألقي نظرة عاجلة الى ساعتني وأجد أنها قاربت الظهر.

لا ابالي كثيراً بتفسيركم لمثل هذا الأمر، ولكنني أعلم، خُبرةً ودرايةً، أنه العجب العجاب، اليس كذلك؟

(*) قل إنها عدل ستة براميل وصنوبر. (س. ا).

الفصل التاسع

— لقد عاد بيرو الى منزله، ولديه ضيوف على الغداء. هكذا قال لي المناوب.

وبزفرة عميقة مثل ربح الميسترال العاصفة، قررت الذهاب لزيارة آل بيرويه. فوصلت الى عمارتهم في الوقت الذي يهرع فيه عجوز هابطاً السلم وقد غطت الدماء وجهه، وتتبعه امرأة عجوز مولولة، ثم امرأة اربعينية منتحبة يتبعها صبيّ مقهقه. فاعترضت طريق ذلك المسخ الصغير.

— ماذا يجري، أيها الوجه المغتبط المقهقه؟ سألتُ قلقاً.

— إنه نمر السيّد بيرويه لقد عضّ جدّي، أجاب وهو يحاول الافلات من قبضتي.

حالة من الذعر تسودُ شقّة آل بيرو. واجد البدين منهمكاً بعراكه المستमित مع القطّ البنغالي الذي أحضره من تورينو.

— كليمنصو! عُد الى حجرتك بسرعة! يُبرطمُ المروّض.

يقفز النمرُ الى صدري ويغرقني بدموعه وهو يلعنُ صاحبه الرهيب الذي يُفسدُ بوساوس جنونه دعة الحياة الزوجية والأسرية.

وتفسير ذلك: أَنَّهُم كانوا على وشك شراء منزلٍ ريفي صغير على أن تُسَدَّد أقساطه على المدى البعيد. وجاء «أصحاب الشأن» لتوقيع عقد البيع، إلا أن المالك العجوز أصيب بنوبة سُعال. والحال أن كليمنصو، نمر آل بيرويه، يستقيح السعال. فوثب على البائع وجعله فأن غوغ الثاني بعد أن التهم أذنه اليمنى. فلم تتم الصفقة.

أفلح بيرو أخيراً في ادخال حيوانه المفترس ذي الخطوط الى حجرته. ولكنَّ صنيعه هذا لا يُنْهي الأزمة، ذلك أن كلبه السان برنار كان هناك وكذلك الخادمة. ولم يلبث أن علت أصداء عراك صاحب. فهرعت الخادمة، وهي شقراء شاحبة مُشْعِرة، وقد تدلَّت من عنقها نظارة ندّاءي القطن وتشبّثت برسن السان البرنار الذي ارتجلته من سلسلة لسيفون المرحاض ومع ذلك لا تُفلح (ولن تفلح) في لجم الكلب.

يتبادل النمر والكلب نهش الأنياب في كلِّ المواضع. وتُضْطَر برت، سعياً وراء النجاة، الى الوقوف فوق طاولة. إلا أن قطعة الأثاث التاعسة الحظ قد صمّمت لحمل إناءٍ من الأوبالين ليس أكثر فتنتهار تحت الثقل. تتشبّث برت بالثريا، ولم تصمد الثريا البائسة تحت الثقل هي أيضاً. فتستسلم لبرت حاذيةً بذلك حذو كلِّ صبيان الحوانيت في الجوار. ويحدثُ ارتباطهما بالأرض انفجاراً من قطع الزجاج المحطم. ولا تلبث أن تكسو الأرضية ببخيرة من البريق. وحين انتزع ساق الثريا من السقف انتزع معه مترين مريعين من مساحة السقف. ولسوء الحظ كان السقف يُستخدم على وجهين، فهو في الوقت نفسه يُشكّل أرضية الجار الذي يقطن الطبقة العليا.

وعبر الفتحة المستحدثة في السقف شوهد رجلٌ عجوز يضبط سماعة أذنه الكهربائية على موجة حلبة الثيران الهائجة في الأسفل.

— مساء الخير، يا سيّد لوساج! يصرخ بيرو قائلًا محاولاً فضّ اشتباك المتعاركين. أعذر لنا فوضائنا، ذلك أن هاتين الدّابّتين اللعينتين تسبّيان لنا الوليات.

— لا، شكرًا، لقد تناولتُ طعام الغداء للتوّ! يُجيبُ الأصمّ، الذي لم يسمع كلمةً واحدة.

وفي آخر الأمر تقلّت الخادمة السلسلة وتهرع لنجدة برت، وتنهك بانتزاع قطع الزجاج التي انغرزت في لحمها بواسطة ملقظٍ يُستخدم لقطع السكر. إنّها تبكي، الخادمة المغناج. ولا تفهم كيف يمكن أن تحلّ بهم مثل هذه الوليات وهي تحمل في رقيتها ميدالية سيّدة لورد التي باركها المونسنيور بيتاوتشونيك بالذات. إن الدنيا لتزخر حقًا بالنكبات التي تعصى على الفهم! بيرو، في حدّ ذاته، إعصار. ويؤكد أنه ربّ المنزل وأنه سيغضب. وردًا على تشوّقه هذا يثب كلب السان برنار وينتزّع قطعةً من رجل بنطاله، فيما ينتزّع النمر كمّ سترته. إلّا أن بيرو يريه يعرف كيف يجتاز المحن مرفوع الرأس. فيتابع مقاومته العنيدة. ويهرع الى المطبخ ويستولي على قدر وضع على النار دون أن يبالي حتى برفع غطاءه.

— آه! الويل لكما أيّها القردان اللعينان، يشتمّ البدين باللغة الأتروية^(*)، قدر من الماء الغالي قد يهدى من روعكما.

وها أنّه يدلق محتوى الوعاء في اتجاه المتناشئين. ويا لهول ما

(*) منطقة كانت تقع قديماً في غربي إيطاليا. (م. ع).

فعل، فالقدر لا يحتوي ماءً بل حساء لحم العجل الدهني. والأشدّ هولاً أن الرمية تخطيء المتعاريك وتُصيب برت مباشرةً في مقورها الحاسر عن الكتفين والصدر. آه! بحقّ الأسلاف، حساء لحم العجل الدهني الكثيف، إنّه اكتشاف العصر. وتبدأ ب. ب. بويلاه تشبه صغير المصانع عند ظهر أول خميس في الشهر. وتصرخ بأنها تموت. ولكنّ قوة صراخها تُطمئن. فتتزع بلورتها الحرير المزركشة برسوم القرنبيط المزيّن بأوراق الورد. ثمّ تتزع صدريتها ذات الحواف المصفّحة وتفق أزارار المشدّ واقسم لكم أن استعراضاً من هذا النوع كان ليثير عاصفة تصعق في كباريه «الكرايزي هورس صالون».

وإذ يُسيئه اخفاق رميته الأولى المُخلج، يستخدم البدين وسائل أخرى أكثر فعالية. فيسارع الى اللמידير ذي القاعدة الخشبية فيلوح به في كل اتجاه. فتكون حصيلة الأضرار على النحو التالي: إناءان خزفيّان، إطار صورة والديه، مجسّم أيلٍ من الجصّ المزركش، اكليل من زهر الليمون (تحت قبة زجاجية)، تمثال نصفي للجنرال ويغان، جهاز ترنرستور، شاشة التلفزيون، ومراة خزانة الأطباق، رخام الموقد، شمعدان من الخشب الأصلي المزّيّف، كركند مصبّر، ميزان حرارة معطل، إبريق حقن، زوجان من المصابيح الجدارية من الطراز الامبراطوري، وصينية الفاكهة، كلّها أصبحت حطاماً في مهلة قياسية. وفي آخر المطاف قُذف اللמידير باتجاه المتعاريك من ذوات الفراء. وينطلق نخير النمر فيكشف عن صفّ من الاسنان السليمة ويسقط أرضاً. ويروح كلب السان برنار الذي ساءه أن يُصاب رفيقه، يتشمّم فروته الرطبة. ثمّ ضربة لمبديري ثانية ترمي به كلباً أفقيّاً سوية الأرض. وعندئذ يرمي بيرو بسلاحه من

فوق كتفه الى الوراء، فيستقر غطاء اللمبادير فوق رأس برت التي ارتدت زني حواء. ولا يستطيع أحد منكم أن يتخيل مظهر المرأة الحوت التي لا يكسو جسدها من الملابس سوى: جوربين وغطاء لمبادير من الورق المقوى وبقعة حمراء هي أثر حرق. وما هي متهاكئة لا تقوى على الصراخ. خائفة، مغلوقة، راضخة! لقد كان بيرو على حق، فهو السيد الأوجد على المتن بعد الله سبحانه. فيُحصي الأضرار: نمر ميت، وكلب سان برنار مصاب بكسر في مؤخر ظهره، وينبغي الاسراع الى مخازن ليفيتان لإصلاح الأضرار التي أصابت المنزل.

- هذا يحدث حين أخرج عن طوري! يقول كمن يطلق الانذار الأخير.

ولكن كلامه الحازم هذا لا يحول دون ارتباك مفاجيء ينتاب نبرة صوته. فالبدنين يعلم حق العلم أن الرد الانتقامي وشيك جداً. ذلك أن برت ليست من طراز فتيات الرعية التي تكابد الإهانة طويلاً دون رد الكيل كيلين. وسيكون ردها الانتقامي مرزلاً أيها الفتيان!

في الأعلى، كان العجوز الأصم قد جلس على كرسي عند حافة الفجوة ومكث يراقب بشغف كما يراقب البطريق مضيق بيرينغ من خلال فجوة أحدثها في طبقة الجليد.

فهو يعرف جيرانه جيداً. ويعلم أن الجولة الثانية ستبدأ وقد تستغرق في هذه الحالة وقتاً إضافياً. فحتى اللحظة يحافظ بيرو على تقوّه في أرض الملعب، ولكن زوجته الحوت تستجمع قواها. وما هي تنهض مستعينة بالخادمة. فترتدي تنورتها وبلوزتها. وبعد أن

سترت أضخم ما فيها بدت جاهزةً لمناورات الربيع. والهدوء الذي
تبديه ينذر بأوخم العواقب.

ويقع المحذور.

تتلفت من حولها فلا تجد في متناولها ما يُشفي غليلها، فتدخل
الى غرفة النوم بحثاً عن الأداة الملائمة. وتعود مسلحة بعدة صيد
الأسماك التي يستخدمها حضرته. وبدراية مدهشة تستحيل
القصبه، بين يدي السيّدة، الى عصا كمبوديّة غليظة معدّلة بما
يناسب استخدامها كهراوة.

- برتي! يلفظ المتوسّل شكواه.

أدّنها مثل حجر الصوّان. وما هي تقذف بكرة القصبه فتصيب
زجاج النافذة. تبكي الخادمة وتشهق. إنها طيبة هذه الخادمة،
مهنتها تقتضي منها الطيبة. وتسترسل في صلواتها، «أبانا» واحدة
باللاتينية وثانية بلهجة البروتانية، وثالثة مصحوبة بالإشارات،
ولكن يبدو أن السماء لا تفهم هذه اللغات الثلاث هذا الصباح.
تقلب السيّدة بيرو طاولة صالة الطعام لكي يُتاح لها أن تتصرّف
بحريّة. وعندئذ يُدرك بيرو أنني الأمل الوحيد الذي تبقى له.

- سان! يقول متوسّلاً، افعّل شيئاً! أنت ترى جيّد أنّني لست
المخطيء الوحيد.

وترفع برت عينيهما الحمراءوين كعيني مصارع ثيران نحو الجار
الأصمّ.

- أنت شاهدٌ على ما جرى! تصرخ مثل البقرة.

- إنها الثانية عشرة والدقيقة العشرون! يُعلن الرجل الوقور.

- يا عزيزتي برت، قلت متوسطاً بينهما عليك بالهدوء. إن امرأة جميلة مثلك ينبغي أن تكون قادرة على تمالك أعصابها.

فأجابتنني بالسؤال عما يجعلني أحشر أنفي في ما لا يعنيني. وإذا أحرار جواباً مكثت صامتاً في دور المتفرج. أوه! أيها الفتيان، يا لها من معركة أطباق! كل أوعية الليمون الفاخرة تستحيل خطماً. ويهرع سكان العمارة إلى أبوابهم يدفعهم الفضول. وتأتي سيدات بأشغال الصوف يتابعنها في الأثناء وينسى السادة أن يحضروا مجالّتهم المفضلة. وتتصل الحاجة بمصلحة جمع التفايات عليها ترسل شاحنة لرفع الانقاض ونقلها. وربما الأجدر أن تتصل برجال الاطفاء؟

أقفُ حائلاً بين الزوجين.

- ابتعد، أيها الوغد، وإلا طرحتك أرضاً أنت أيضاً! صرخت
البدينة الشمطاء.

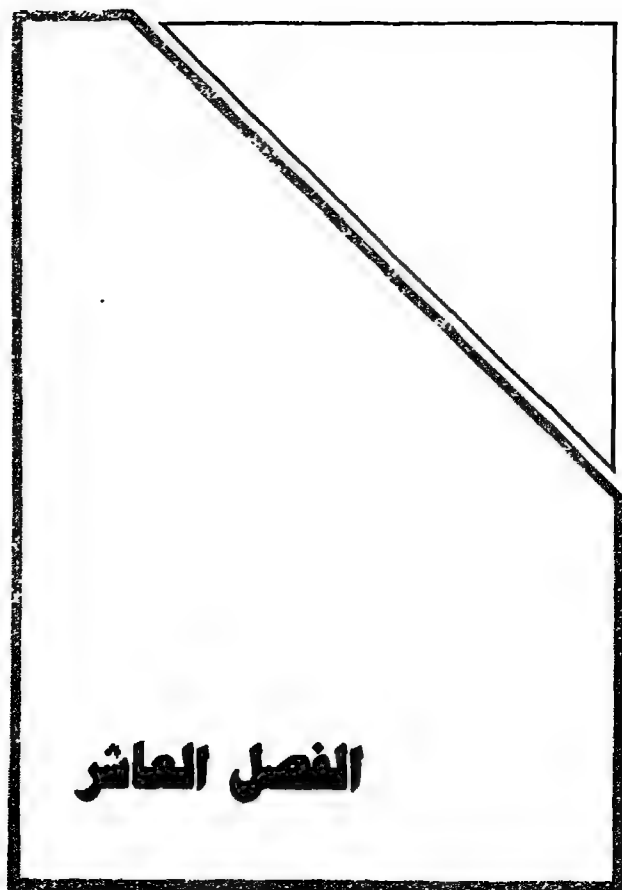
- مهلاً، يا سيدتي العزيزة، لديّ سؤال وحيد أريد أن اطرحه على زوجك. قل لي، أيها البدين، ماذا أخبرك مورييون حين اتصل صباح اليوم؟

- أراد أن يتحدث اليك، يُرطم المنتفخ، وقال إن الأمر ملعٌ جداً.
مسألة حياة أو موت. وأنه ينبغي إبلاغك مهما كلف الأمر...

لم يتمكن من اتمام عبارته. فقد التفت برت من ورائي حاملاً
أحدى الكنبات وقذفت بها مُطِحةً بوجه بدینها.

أعبر على جثة البدين لأصل إلى باب النجاة.

– اتفادر الآن! تقول امرأة عجوز.
– أجل، قلت معتذراً، لدي موعد مهم. ولكنني سأحاول أن أعود
في نهاية عرض الساعة الثالثة لأشاهد الخاتمة.



الرقم ٤٤ من شارع سان مارتان يشبه الرقم ٤٥، سوى أنه يقع في الجهة المقابلة من الشارع. إنّه منزل بجدران وسطح ونوافذ. وله بابٌ ندخل منه، وسلالم للصعود الى الطبقات العليا وحاجبة تنصح الزائرين بمسح أحذيتهم جيّداً قبل أن يصعدوا. سألت السيدة المذكورة عن شقة الأنسة ياباكسا دانلافي. فقالت انها تسكن الطبقة الأرضية، الأمر الذي يُضاعف من غبطيني وسروري لأنّ المبنى غير مجهّز بمصعد برغم عدد طبقاته.

يُطالعي باب ضيقٍ أجرد الصمقت عليه بطاقة زيارة: إنّه الباب المقصود! لا وجود لجرس، فأثني سبّابتي وأستخدم إصبعي الثانية، بمثابة مطرقة. إنها معجزة التقدّم: يُفتح الباب. تقف الأنسة ذات الجديلتين أمامي بجديلتيهما بالطبع. وأرجو أن تدركو جيّداً أنني لا أكون سوى ناطق باسم الحقيقة الصادقة حين أوكد لكم أن هذه الصبيّة هي الجمال عينه في أجمل صورة!

شعرها الأسود الفاحم يُبرز جمال بشرتها الشاحب، والعكس بالعكس، يُبرز جمال بشرتها الشاحب ألّقى شعرها الفاحم. لها عينان مذهلتان: بلون الخبّازي تشعّان ألّقا مذهباً. وجنتاهما بارترتان

قليلاً، شفتاهما مكتنرتان، أنفها دقيق وقدّها الأرفف (اقصد: الأهيف)، وساقاهما وقدهما وكلّ ما فيها يجعلها أشبه بتحفة فنيّة أين منها فينوس رقيقى ميلو. إلّا أن أجمل ما في هذا المخلوق الفاتن، بالإضافة الى روزنامة مصلحة النقل المشترك التي تمثّل مغنياً خلال خسوف القمر، فهو صدرها. ما أن تتعرّف على النهدين حتى تعشقهما كما يزعم أحد الأمثال. ونهدا ياباكسا يتمتعان بما قد يستثير حماسة عمومية. أولاً بسبب حجمهما الرائع. وليس ذلك لأنني أعير انتباهاً خاصاً الى الكَم؛ ولكن حين يكون الكم جزءاً متمماً للمتعة، فلم لا؟ وأحسب أن نهدي الأنسة من العيار الثقيل، يا فتيان! وللمقارنة فقط أحسب أن الرخام الأصلب يبدو حيالهما مجرد مطّاخرخو. ولا بدّ أن مداعبتهما من بين أكثر الخبرات عنقاً. أنهما يصيبانني بالخطر.

– الأنسة دانلافي؟ أنعقُ شاخصاً في زرقة نهديها.

فترّد علي بابتسامة كم أوّد أن أجعلها هديّة لكلّ منكم في يوم سعّده.

– أوه! أوه! الكوميسير سان أنطونيو، تغرّد وردة الابانيا النادرة.

أي شرف عظيم يجعلني أستحق زيارتك؟

فأمكثت مذهولاً كطيف الميروزا، يا فتيان.

– اتعرفيني؟ سألت مستجوباً.

– ومن لا يعرفك! وكيف لي أن لا أعرفك بعد أن عملت طويلاً في

مكتب السيّد بينو! لقد كانت صورك تملأ حيطان المكتب يا حضرة الكوميسير.

لا داعي لأن تتحدّث في برنامج إذاعي لكي يتضح على الفور أنّها على قدر من الذكاء والنباهة. ولا يظنُّ أحدكم أنني لا أبا لي بالمديح. فما قالته الأنسة من العيار الذي يُصيّني تَوّاً في الصميم. وأقبله دون تمحيص.

وهذا ما أفسح لي المجال لكي أدخل الى مسكنٍ في حجرة واحدة متواضعة الأثاث ولكن نظيفة.

رايت فوق طاولة صغيرة طبقاً وضعت عليه قطعة لحم مجفف، وبقربه كوبٌ من الحليب. وإلى جانب الكوب موزة تحتفظ بها، على ما يبدو، للتخلية وإن كانت تحيا بمفردها.

- لقد كنتِ تتناولين غداك، اعتذر للإزعاج.

- لقد سررتُ بزيارتك، تجيب الطفلة الجميلة، هلاً شاركتني طعامي؟ لدي قطعة أخرى من اللحم في الثلاجة، فلا تشعر بالحرَج! - أقبل الدعوة بشرط أن تقبلي دعوتي الى العشاء هذه الليلة.

راحت أجفانها ترمش برفق بالقدر الكافي الذي يجعلها تتخذ مظهر المرأة المحتشمة لا الوقحة أو السليطة.

- ولم لا؟

يمثل هذه البساطة، يا فراخي. هل يجزؤ أحدكم على القول من الآن فصاعداً أن فتنة سان أنطونيو ليست سوى خرافة تروّجها صحف الأخبار الاجتماعية؟ إذ لم أكد أبادرها بتحية الصباح حتّى تدلّهمت في غرامي. وتفتح علية باريلاً وتضع بعض الزبدة في وعاء لتسخن هذه الوجبة النباتية. إنَّ جديلتي الصبيّة الرائعتين تغريان بالتمسك بهما وكم أودّ أن أسلس قيادها ممسكاً بهما. أو

أن أنهر جموحها: هيو! لكن خبرتي في هذا المجال تؤكد لي أن المبادرة ينبغي أن تكون من نصيبي. وإذا كنتم تجدون كلامي هذا فاحشاً بعض الشيء، نَبْهوني: وعندئذ سأحاول أن أكون أقل فحشاً.

نقضمُ طعامنا على مهل ونحن نتبادل النظرات الموحية الثابتة.
- لا بد أنك تحسبني فتاة سهلة؟ تمتعت فجأة، ولكن السيد بينو حدثني كثيراً عنك وهذا ما جعلني أشعر بأنني أعرفك حق المعرفة.

لا أشعر بارتياح كبير لأقوال البينوش بشأنني. إذ يصعب أن يكون المرء بمستوى تزهاته، ذلك أن بينوشيه دأبه المبالغة. لقد وصفني على أنني السيِّف القاطع الأوجد لهذا القرن! والرجل ذو العصا القولاذية! والكارانوقا الحديث المثلث القدرات!

- ولكن بالفعل يا كوميسير ما سبب هذه الزيارة؟

- لأنك الأبانية، قلت.

فيقتم وجهها، الأمر الذي يُعتبر، نظراً للون شعرها، حدثاً خارقاً غير عادي.

- لا أفهم.

- لقد تقدمت منذ بعض الوقت بطلب تأشيرة دخول إلى بلادك للعودة إلى هناك.

- لم يكن في نيتي أن أعود إليها، بل أن أذهب إلى هناك، قالت مصوبة، لأنني لم أظأ أرضها من قبل. لقد ولدت في فرنسا، ولكن بعض أقاربي ما زالوا هناك وكنت أود أن أزورهم للتعرف إليهم، ولذلك فقد تقدمت بطلب قبل موعد العطلة الأخيرة...

- ورفضوا منحك التأشيرة؟
- أجل. ألم يتم استدعاؤك الى القنصلية بعد ذلك؟
- لا، ولم استدعى الى هناك؟
ترددت بعض الشيء قبل أن أفسر لها كيف الملائمة للماذا التي طالعتني بها.
- هل قرأت الصحف؟ قلت بشيء من المواربة.
- بالطبع.
- وهل قرأت الأحداث المتفرقة التي جرت في شارع «لا بومب»؟
فنعقول:
- أجل، بالفعل. قصة ذلك الزجّاج الذي وقع من النافذة يوم أمس، ثمّ حادثة قتل هذين الحارسين أثناء الليل. وهل تتولّى التحقيق في القضية أيّها الكوميسير؟
- على رؤوس أصابع قدمي، أقول مماًزحاً.
- الآن أفهم؟ لا بدّ أن السيّد بينو قد حدّثك عني فحسبَت أنك قد تستعين بي لفهم العقلية الالابانية؟
- شيء من هذا القبيل بالفعل.
- للأسف الشديد لن أكون خير عون لك، تعترفُ ياباكسا وقد ابتهمتت تواضعاً. لقد تلقيت تربية على الطريقة الفرنسيّة، وأمي فرنسيّة. لم يمنحني أبي الالاباني إلّا الاسم. قصدت القنصلية مرتين: في المرّة الاولى لاتقدم بطلب التأشيرة، وفي المرّة الثانية لأخطى بالرفض. ولا اعرف أحداً من الرعايا الالابانيين.

- اتجديدن اللغة؟

- ما أجيده منها يكاد يُسعفني في طلب قطعة يفتاك مع البطاطا
المقلية في أحد مطاعم ستروكلا، العاصمة...

وتسكب لي بعض البازيلاً. ويتملني حضورها الرقيق، وضوع
عطرها.

- أين تعملين الآن؟

- أعمل في مصنع للمواد الغذائية ولكني الآن في إجازة لمدة ستة
أيام. ذلك أن المصنع يحاول في هذه الاثناء استخدام المواد الأولية.

كم كنت أودّ أن أنحني عليها بصدري ماعساً صدرها الى الوراء
فور انتهائي من البازيلاً. إلّا أن مصير الأب مورييون لا يُفارق
عيني، فما هو الشيء الملحّ الذي أراد أن يطلعني عليه؟ ولماذا ادّعى
أنها مسألة حياة أو موت؟ الى أين ذهب؟ وما الذي دفعه الى انتزاع
رقاص ساعته اللعينة؟ عدد كبير من الأسئلة المحيرة عليّ أن أهتدي
الى أجوبتها!

- تبدو لي شارد الذهن، يا كوميسير؟

- بالفعل.

تُراه كيف يكون عزيزك سان أنطونيو، يا حوريتي! فما يقلقني
في هذه المعمة قد يكون سلوكي أنا بالذات! مثلاً، أستيقظ هذا
الصباح بعد ليلة من الحركة والتشويق ويدل أن أهرع الى المكتب،
أقرر البقاء في أحضان فيليس. أمر مستهجن، اليس كذلك؟ ولكنّ
عصر الراحة لا يدوم طويلاً فأغادر المنزل وأعود الى عملي وما أنذا
أتناول طعام العشاء الى جانب ضُرّاطة صغيرة لا أعرف عنها (بعد)

لا طعمَ الشفة ولا عضه الأسنان. فما الذي دَهَكَ يا سان أنطونيؤ؟
هل نالَ منك مرض «أبو كعيب» أم ماذا؟ أتعاني من التهاب أم
أن هرموناتك تعاني من نقصان الحيوية؟ كل هذه الأمور قابلة
للعلاج، يا بني! يجب أن تستشير الطبيب لا أن تغفو على
أريكته. ولن يلبث قائد العيادة أن يوفّر لك العلاج، على الفور!

أسهوا قليلاً وقد شخصت عيناى في المقوّر - المُحتشم بعض
الشيء - الذي ترتديه ياباكسا. وأشعر أنني على أهبة الغليان أيها
الفتيان.

- إذأ، يا حشاشة قلبي، أقولُ بصوت منخفض بعدَ أن طفوتُ
على السطح مجدّداً، أنت تعلمين أنني احتاج بعض المعلومات حول
الابانايا الجديدة والالابانيين. لا بدّ أن هناك جالية الابانية في
باريس، اليس كذلك؟

- أعرف مطعماً الابانياً قرب ساحة بيريز. حيث يستطيع الراغب
أن يأكل أطباق الكرسويار والكوليانباتون ويُقال أنها تحضّر باتقان
كما في العاصمة ستروكلا.

- وما عدا هذا القصر المطبخي؟

- لا أعرف شيئاً آخر.

- أنذهب هذه الليلة لتناول العشاء فيه؟

- إذا كنت مصرّاً، فلا مانع عندي. أنا في إجازة، كما قلت لك.

نتقاسم الموزة وتسالني مضيفتي الجذّابة إذا كنت أشرب
القهوة. فأرحّب بالفكرة ظناً مني أن القهوة قد تساعدني على تمالك
نفسي؟ فاقترعت كُتبتُها فيما تتشغل هي بتحضير قهوتها.

— تعيشين بمغفرك؟ سألتها.

سؤال صعب، فتهزّ رأسها.

— كان لديّ صديق. ولكننا انفصلنا.

— مما يعني أنك في إجازة تامة؟

تقترب لتجلس ملتصقةً بي فيما نحتسي القهوة. وأحسبُ أن تفوّقي عليها من حيث بنيتي الجسدية (اثنتان مقابل واحدة! يترك تأثيراً طيباً ومشجعاً. وللتثبت من الأمر: ألقى بذراعي رخوةً (كما تقول غلوريا) فوق كتفيها. فتبدو قانعةً مستسلمة للطعم، لا بل وديعة مستأنسة. ياباكسا، انها من هواة القبلات الملتهية. وتأنف من اللقاءات المستعجلة بأطراف الشفاه. وما تريده هو كلّ شيء وعلى الفور كيما تختار الأمتع فيما بعد.

وأدرك من تلهّفها مقدار ما تكايد من العزلة. لقد انهكتها خيالات العشق وسرابه. وتودّ لو تسمع نشيد الجوقة الأجنبية، بترجمته البلجيكية: «إذاً، هذا صنيع بودوان، هذا صنيع بودوان!» (...). وما هي تناديني فرنان ولكني لا أبالي، فأنا لست بالملتزمة. وثمة المئات من الجميلات في العالم الشاسع الأرجاء ينادين أزواجهنّ باسم سان أنطونيو حين يحاول هؤلاء أن يمثلوا دور السوبرمان! إلّا انها برغم نشوتها تفطن الى الخطأ الذي ارتكبته وتعتذر، فتتال مني الغفران بلا تردّد. تتواصل المشاحنات بلياقة وتهذيب شديدين. ويبدو أن الحادثات تتريث قليلاً في طريقها المسدودة، إلّا أن الحوار لا يلبث أن يُستأنف مجدداً وتتوصل الى خاتمة سعيدة لكلا الطرفين. وإذ أهمّ بالتعبير عن امتناني لها وإذ

تهمّ، هي، بطلب المزيد، نسمع طريقة على بابها. فترتسم على وجهينا معالم انزعاج موحّد. فترمقني ياباكسا بعين استياء لاعنة هذا البغيض الذي يسمح لنفسه أن يُقاطع مثل هذا اللقاء الممتع النبيل، ونسمع طريقة ثانية.

– افتحي الباب! يصرخ صوت جهوري. الشرطة!

تترجح جوزة عنقي كما تتأرجح سيارة جيب مسرعة في الوعر. إذا كانت الشرطة تداهم منزل الأنسة جدائل، فسأجد نفسي في ورطة مهينة، يا أخوتي. نظراً للموقف الذي أجدني فيه!

– لحظة! تحجب الصبيّة.

تنهض فيما تتجمّد أوصالي تحت الأغطية. وتتجه نحو الباب في حلة حواء، وتفتح عتلة القفل بعد أن جانبت الباب تماماً سترأً لعريها. ثم تفتح غطاء العين السحرية على مهل وتلقي نظرة خاطفة الى الخارج.

– ماذا تريدون؟ تسأل.

– هل أنت الأنسة دانلاقي؟

– أجل، ولكن لماذا...

فيُسمّع صوت غريب، يشبه صوت النّقّار الكهربائي. ويهتّز الباب وترتسم فيه ثقبٌ متلاحقة. بومضة بصر أدرك حقيقة الأمر: ياباكسا تتعرّض لإطلاق نار بمسدّسٍ من العيار الثقيل ومزوّد بكام صوت. وبمعجزة تنجو من رصاصات الجاني. وهل تعرفون لمن يعود الفضل في نجاة الالابانية الجميلة؟ يعود الفضل في ذلك الى الكوميسير الطيّب سان أنطونيو. فشكراً لك يا حضرة الكوميسير:

لقد أحسنت صنعاً! لقد كنتُ شديد الفطنة عندما أغويت هذه الطفلة الرقيقة، بجذبيها اليك والسيطرة عليها وإلحاقها بك وجزها وتجريدها من ثيابها. فقد اضطرت للوقوف مواربة عند زاوية الباب لأنها عارية ولا تريد أن تعرّض مفاقتها العاجية لأنظار زائريها المقدامين. أوتدركون الآن؟ ولذلك لم يُخمن مطلق النار أن حصوه النارية تخطئ الهدف وتنقر الجدار المقابل، تنتهي أعمال الذرّز الناري. فأمسك على عجل، وحسب الأولوية، بحاجتين لا غنى لي عنهما، أقصد: سروالي ومسدسي. وباندفاع هائجة أطرح الفتاة التي بدت لي جثة لا حياة فيها، على الأرض وأتوغّل في الرواق. وعند المدخل أرى رجلاً نحيل الجسم يرتدي مُشمعاً أخضر وقبعة، يهرع مثل المعتوه. وتصرخ حارسة المبنى عندما ترى الطقم الذي ارتديه. ولكي أهدئ من روعها أرتدي سروالي وأهرع راكضاً في شارع سان مارتان، مسدسي في يدي. لا أستطيع وصف المشهد، يا إخوتي! رجل شبه عار يركض شاهراً مسدسه، والمارة كأنهم أمام واجهة متجر لا يدارون ذهولهم! فطن الرجل الذي يرتدي مُشمعاً إلى أنه مطارّد وراح يطلق النار. وخوفاً من أن أصيب أحد المارة امتنعت عن الرّدة على النار بالمثل. وإن يمضي وقت طويل قبل أن أصبح هدف النيران. وسيعترضني البعض ظناً منهم أنني مجرّد معتوه تتتابني أزمة أعصاب حادة...

لديّ ما اتفوّق به على المطارّد: أنا أركض حافي القدمين ولا تعيقني الملابس خلال الركض.

لذلك اقتربت منه دون عناء. عشرة أمتار فقط تفصلني عنه وبعد ذلك سأنال منه. يُدرك خطورة الموقف فيطلق رصاصة إلى وراء. تنزّ

الرصاصه لصق اذني وتصيب محرك شاحنة. ستة أمتار.

- قف وإلا قتلتك! اصرخ به.

وبدل أن يجيب يحاول إطلاق النار مجدداً إلا أن مسدسه فرغ من الرصاص. وعندئذ يدخل إلى أحد المباني. فالحق به. يصعد سلماً خشبياً؛ وأنا أيضاً (كما يقول مقلد تافه).

أسرع وأمسك بطرف مشمعه. وأشدّ فيسارع إلى نزعه ولا أحظى إلا به. يواصل تسلقه السلم. وكذلك أفعّل. عاد وتقدمني بمسافة ما. وأسمع تكّة سلاحه إذ يذخره أثناء تسلقه. تجاوزنا الطبقة الأولى والثانية ثم الثالثة. وعند الطبقة الرابعة نهاية الخط: ليترجل كافة الركاب. أدرك مخططه. ينبطح فوق قرص الدرج بمحاذاة السلم. فيحتل بذلك موقعاً استراتيجياً لا يُستهان به. ويتحاشى صاحبكم أن يرتكب هفوة اللحاق به. بل على العكس أسارع إلى النزول بضع درجات بحيث أتمركز عند قرص درج الطبقة الثالثة. لقد تعادلنا على نحو ما. أنا لا أستطيع الصعود وهو أيضاً لا يستطيع النزول. ومن جهتي أفضل موقعي على موقعه. تنتهي إلى من الأسفل ضوضاء حشد. ثم يتناهى وقع مداسات من صنع بولمان تمعّس درجات السلم الخشبي صعوداً. ثم أرى واقيات قبعات نظامية تتوالى عند الطبقة السفلية.

- إرم سلاحك وارفع ذراعيك! يأمرني شرطي.

لقد صدق من قال أن الشرطي ليس قال الخير.

- دُعك مني الآن، يا فتى، أقول، فأنا شرطي مثلك، بل إمرع لاستدعاء التعزيزات لأن قاتلاً خطيراً يحتل الطبقة العليا.

— إن لم ترمِ سلاحك على الفور، سأطلق النار! يجيبُ الشرطي المتمرّن.

يا له من ضعيفٍ إيمان!

— أنا الكوميسير سان أنطونيو، أصرّح له واثقاً ممّا سيسفر عنه وقعُ الاسم عليه.

— وأنا الدوق دوغيز، يجيبني هذا المثقف الحصيف الذي يتابع مسلسل السيد كوستيلو الاذاعي.

— إذ يستحيل عليه أن يفهم كيف يمكن لشرطي أن يتنزه عارياً في شوارع باريس. اتفهمون الآن؟ فالشرطة مدرسة الاحتشام.

وإن لم يسعفني ملاكي الحارس على الفور (كما يقول صديقي فريدريك)^(*) بمدّ من مخيلته، فسأجد نفسي صريعاً برصاص إخوة السلك، وعندئذ تكون الطامة الكبرى.

— لا تطلق النار، بحق السماء، أقول لك مجدّداً أنني سان أنطونيو. إذهب الى الرقم ٤٤ في هذا الشارع، وستجد عند الأنسة دانلافي ملابسي وأوراقى الثبوتية.

— وبينما أفعل، تكونُ...

فأهتدي الى فكرة خارقة.

— إن الكوميسير في مفررتك يدعى «نيزيل». «غاستون نيزيل»، الملقب بـ «العمّ»؛ صحيح أم لا؟

(*) إن سان أنطونيو هو الاسم المستعار للكاتب فريدريك دار الذي وقع باسمه الصريح عدداً من القصص البوليسية القصيرة.

فأراهما الآن. إنهما شرطيان وقد ارتبكا لما سمعاه.

- وقبل أن يُعَيَّن نيزيل، كان الكوميسير يدعى «بلوشو»، «ادوار بلوشو». وكان خذّه الأيمن مكسوراً بوحمة على هيئة لطخة نبيذ. لقد أفلحت، يا فتيان.

- قد يكون شرطياً بالفعل؟ يهمس الشرطي الثاني في أذن رفيقه. أطلب منكما أن تستدعيا بعض التعزيزات. ففي الطبقة العلوية يتمركز قاتلٌ محترف أريد اعتقاله حياً...

- لا حاجة للتعزيزات! يقول ضعيفُ الإيمان متشدقاً. وينضمّ إلي حاملاً مسدّسه. وما أن يقترب مني حتّى يتأمل وجهي.

- بالفعل، يقول هامساً. أحسب أنك الكوميسير سان أنطونيو. - أما أنا، فوائق من أنني سان أنطونيو، أجيب.

يعوزه الاحترام. فلا بدّ أن المخبول الذي ادّعى ذات يوم أن المُسوح لا تصنع الكاهن، مصابٌ بلوثة في دماغه. وأراهنكم أنّ سوبرمان بالذات لو فقد ملابسه لما أطاعه مرؤوسوه. ولكي يثبت لي كفاءته تابع الدركي صعود السلم. وبالطبع، ما كان سيحدث في مثل هذه الحالة قد حدث فعلاً: يتلقى رصاصة في وجهه. فيمكث للحظات بلا حراك، مصعوقاً، ثم يتدحرج الى الخلف وتستقرّ جثته الهامدة فوق درجات السلم، رأسه الى الأسفل، ودماء غزيرة تتدفق من وجهه محدثةً جلبّةً قظيمة.

- هل فهمت الآن؟ أقول مخاطباً الشرطي الآخر. هيا، استدع

مفرزة الغاز المسيل للدموع بسرعة.

فيهرعُ الى الهواء الطلق.

لم تحدثُ الطلقة دويّاً بسبب الكاتم (انها عادة لدى الالابانيين). ومع ذلك شرع سكان المبنى يخرجون من مساكنهم وقد أقلقتهم الضوضاء. أسمع باباً يُفتح، فوق، في الطبقة العلوية. طلقة أخرى تتبعها صرخة وارتطام جسم بالأرضية. أسمع ديبب أقدام. لقد غادر القاتل مكانه ليختبئ في شقة أحد سكان المبنى بعد أن قتله. فأصعدُ حذراً، وبالفعل، أجدُ صحن الدرج خالياً إلا من جثة رجلٍ عجوز.

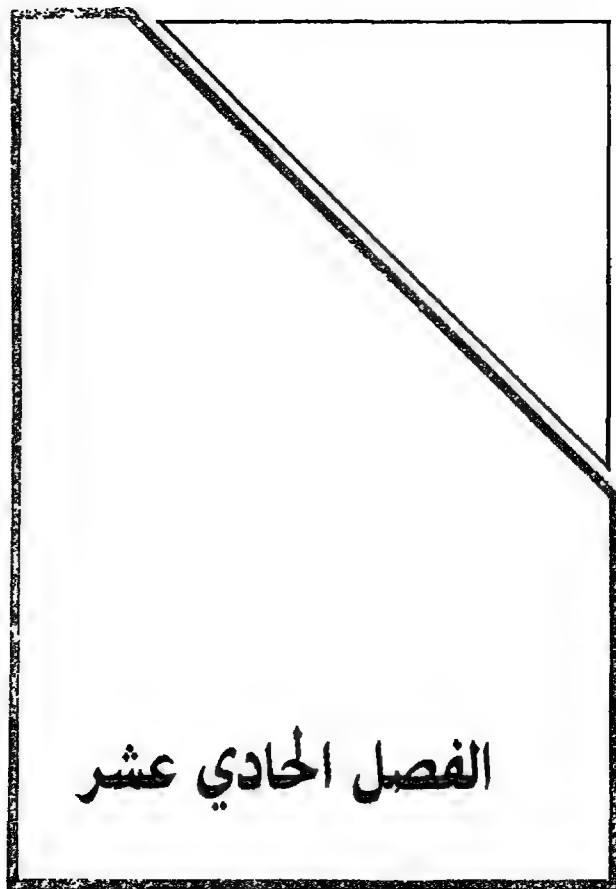
أرى البائس يتخبط في حشرفته المضحكة المبكية. فالحياة مرض يصعب أحياناً الشفاء منه.

لا يوجد في الطبقة الرابعة سوى باب واحد، إذ لا خيار لي، التصقُّ بالحائط وأصوبُ أستون ريفي الغدار نحو القفل. وأطلق النار. تحدث الطلقة دويّاً هائلاً ويُفتح الباب. ألقى نظرة، تبدو الشقة بائسة: حجرتان صغيرتان قدرتان وقد اثنتا بأرخص القليل، نافذة مفتوحة، فأهرع إليها... أرى قاتلي يركض فوق السطوح. لقد قفز من علو خمسة أمتار، فوق سقف التوتياء لأحد المخازن وراح يركض في اتجاه المدخنة. كم أود أن أقفز بدوري للحاق به ولكنني حالي القدمين وقد اكسر أحد عقبتي. ولذلك أمدّ يدي وأغمض عيناً واحدة. إنها دائماً لحظة مريعة حين تطلق النار على فارس. فالرد على النار بالمثل أمر هين لأنه عفوي ولا يحتاج لكثير من التفكير. ولكن التصويب في اتجاه شقيقي فارس يتطلب قوة شخصية ليست عادية على الإطلاق. أصوبُ الى ساقيه وأطلق رصاصاتي. فينقذف الهارب في

حركة دوران وينطرحُ أرضاً. يحاول أن يتشبث بشيء ما، ولكن انحدار السطح يتلقفه يُدحرجه ثم يودي به. يتدحرج بسرعة متزايدة. تسقط قبعته التي تستقرّ على المعدن الرمادي كشيء منقّر وأبله. يتدحرج صوب هوة الحافة. ولثوان يُفلح في التشبث بطرف الإفريز بيد واحدة. لكنها للأسف اليد التي تمسك المسدس. لم يقلت سلاحه. ولم يتشبث بخشبة خلاصه إلا بإصبعين، ويتضح أنهما لا يكفيان لانتشال ثقله. أمكث واجماً بلا حراك، منقبض الصدر. فبرغم كونه قاتلاً محترفاً...

صرخات بعيدة، ثم جلبة ارتطام أبعد.

أتأمل القبعة على السطح. وللحظات يتراءى لي الكون كئيباً وفارغاً مثل هذه القبعة.



ان المعطف العسكري يُشبهه السكاكين السويسرية: فهو قابلُ
لأن يُستخدم على أكثر من وجه. قمعطف الشرطي الخائف أعانني
على ستر عُريي شبه التام أما معطف زميله فاستخدم لستر جثة
القاتل المهشمة.

ينبغي أن أعترف أن إجراء التحقيقات في شارع مزدحم من
شوارع باريس وأنت لا ترتدي من ملابس سوى سروالاً ومعطفاً
أسود قصير، ماثرة لم أحسب في حياتي أنني سأكون قادراً عليها
مهما أرغمتني الظروف. أمكث هنا أمام أعين الفضوليين الذاهلة.
وثمة سائح أميركي يلتقط صوراً لي في كافة الأوضاع. أفتش جيوب
القاتل المقتول: أجدها فارغة. لا شيء. لا قصاصة ورق، لا رخصة
صيد، ولا حتى مجرد تذكرة للميترو: بعض الأوراق النقدية ولا شيء
آخر. أتمعن في وجه الفقيد - ما تبقى منه - والاحظ أنه أجنبي في
الثلاثين من عمره تقريباً، ومجدورٌ مثل شهر آذار. فلا داعي لهدر
الوقت عبثاً، فستهتمّ المفرزة المختصة برفع بصماته. وأعود
أدراجي الى وكر ياباكسا. تبدو لي الفتاة المسكينة كتلة من الذعر.
وباصبع مكتئبة تداعبُ الثقوب التي أحدثتها الرصاصات في
الحائط. لقد اخترقت احداها سيفراً صغيراً كانت قد ابتاعته من

بابلون، فيما ثقت بأخرى صدريتها الملقاة على مسند الكرسي.
- قولي يا فرختي، هناك دائماً ما يدعو الى التسلية في حيكم،
سألتها ممازحاً.

تسألني عن تنمة الاحداث فألخصها لها.

- لماذا أطلقوا علي النار؟ تقول متلعثمة. ماذا فعلت؟

إنها تستخدم اللغة نفسها التي يستخدمها بينو. ذلك أن كل
الأبرياء يُعبرون عن مثل هذه الشكوى حين يكون القدر جائراً الى
هذا الحد.

- هذا ما ينبغي أن نتوصل اليه. أقول دون أن أدخل في
التفاصيل.

لاحظوا جيداً أن لدي فكرة ما غير واضحة بهذا الشأن قد تكون
غائمة بعض الشيء، أعترف، ولكنها، برغم ذلك، مثيرة للاهتمام.

- لا بد أنه كان يُطارِدك، اليس كذلك؟ تسأل بإلحاح كيما
تطمئن.

فأقول بصراحة.

- لا، يا حشاشة قلبي، أعذري صراحتي، ولكنّ المستهدف هو
أنتِ بالذات، فلو أن الجاني كان يطاردني لما تجرأ على الزعم بأنه
شرطي برغم يقينه أن الرجل الذي جاء لزيارتك هو شرطي حقيقي.
صوّيت باتجاهها نظراتي التي لا تقاوم عيار ١٤ مزدوج، تلك
التي جعلت امبراطورة السنغال ترتعش والتي تقض مضاجع
رئيسة جمهورية الإسكيمو.

– وبالإمكان القول إنني كنتُ هنا، اليس كذلك يا حلوتي؟

لقد أعاد الإطراء إلى سُحتنتها بعض اللون.

ولاني لا أخفي عليكم شيئاً أيها الفتیان (فأنتم أوغاد ولكنْ ظرفاء) فسأكشف لكم عن سرِّ اللماذا في كيفِ تفكيري. عندما ذهب بينوش إلى قنصلية الالبانيا متكرراً في زِيّ زَجَاج، تمكَّن هؤلاء من التعرف إليه. فالأبله العجوز يبدو في الصورة برفقة ياباكسا، أتذكرون؟. ولذلك توصّلوا إلى استنتاج منطقي مفاده أن الأنسة ذات الجداول متورطة في القضية مما اقتضى القيام بعملية انتقامية.

قد أكون مخطئاً، ولكنني استبعد هذا الأمر.

– أنا خائفة، تُسرّ إلي ياباكسا مرتعدة.

فأضمها إلي. فيتفرق شعرها المُسبل من حولها ويغطي نحرها الفتان.

– أنا هنا! أقول مُنبهاً.

وأبذل كلّ ما في وسعي لأكون هنا بعض الشيء!



الثامنة مساءً. وباريس تتوهج بكلّ أضواء النيون.

تدخل ياباكسا برفقة الفتى الذي أنا هو، إلى المطعم الالباني عند ساحة بيرير. إنّه مطعم نموذجي. يرتدي النادل فيه الزي الوطني الالباني: بلورة مقوّرة من جلد النمر، وجزمة خاصة

بمنظفي الجارير ذات مهماز فضي، بنطال قصير مخطط، وعقد من النوغا حول الرقبة. وقد زينتوا شعورهم بريشة نسر الكندور، (باستثناء واحد منهم لأنه أصلع فالصق الريشة بواسطة معجون لاصق). أما الجدران فقد كُسيّت بجداريات من الرسوم. فالجدار المواجه للباب يحمل صورة جبل هولالها المكسو بالثلوج (إن أعلى قمة في الالبانيا يبلغ ارتفاعها ٨٨ ستمتراً) أما الجدار اليمين فزين بصورة قطع من حيوانات الكورناشاسوره، تلك الحيوانات المخيلية التي اشتهرت بها الالبانيا. الجدار اليسر كُسي بلوحة عملاقة تمثل معركة شوتوي والتي هزم الالبانيون خلالها جحافل كليستير الثاني الملقب بالخزاء الاكبر. أما الجدار النصفى الفاصل بين ركنين من المطعم فقد كُرس لاحتفال بتويج بوغنازال - الأوحد، ملك الالبانيا السابق (والأوحد). والجميع يعلم أن ملكه الذي بدأ في ٢١ كانون الثاني/يناير عام ١٩٠٤، قد انتهى في أول شباط/فبراير من العام نفسه بعد أن أصدر العاهل سلسلة من المراسيم الملكية التي جعلت استخدام الأوراق الصحية إجبارياً في المراحيض العامة، وأعادت تقليد استخدام قاطع - السيجار، كما حظرت بيع أحزمة التورم الفتقي بالفرق، وسمحت باستخدام أرياش الحكة في صالات السينما. وتمثل الجدارية بوغنازال - الأوحد واقفاً في عربته المكشوفة وشاهراً بدل السيف جهازاً لإبادة الذباب. وفوق الرسم يافطة كتبت حروفها بزيت كبد سمكة المورة وتحتوي الشعار التالي: «Dhan Makhuloth Cithunanvenpá JIarmé» مما يعني، كما أدركت عقولكم النبيلة ولا بد: «النصر أو الموت».

يسوقنا خادم التشرفات الى طاولتنا المنزوية. وتقوم ياباكسا

يطلب الطعام. أقول لها أن تنتقي ما يجمع الكم والنوع في وقتٍ معاً، فتطلب ما يُشكل مائدة فاخرة: طبق ضفادع بمرق الثنوب؛ سُحنة المزمار بمرق الأرملة كليتو؛ مشويّ الجلود قطعاً والبانبيش ملباباً، وزجاجة كوكا سودا، وهو نبيذ محليّ تعبئة نيكولها.

أنهمك بالتهام الطعام وفي الوقت نفسه أداغب بساقي ساق رفيقتي. وبما أنني مُتعدّد المواهب والرشاقات، لم يحُلْ لهوي هذا دون تفحص أركان المكان. رواده أناس هادئون.

- ألا تعرفين أحداً هنا؟ أسأل.

- لا، تؤكد ياباكسا بعد أن تلقي نظرةً متمعنة من حولها، لا أعرف أحداً على الإطلاق.

إنّه حزين بعض الشيء، عزيزكم سان - أ، يا جميلاتي. ويقول في سرّه إن الأمر يراوح في مكانه، وأنه لا رابط فيه، ومعقد وأبله، وأن كلّ هذا لا يقضي به إلى شيء، وإنّ الشموع مطفأة والعجلات صدئة منذ البداية وأنّ عقلية هؤلاء الألابانيين الذين لا يتوانون عن الإيقاع بالمرء في مكيدة الأب فرنسوا، تبدو له مُستغلقة، وأنه قد يكون من الأفضل أن يذهب إلى السينما إلى أحد أفلام رعاة البقر بالألوان الطبيعيّة، فعلى الأقل تكون المسدسات فيها محشوة بالخيرة البيضاء!

لم أحظ من العشاء بمرادي. الطعام ليس رديئاً، ولكني أفضل الدجاج بالنبيذ وشرائح لحم البقر روسيني على هذه المأكّل البربريّة. ولذلك أسارع إلى طلب الحساب. وألاحظ أنهم أفرطوا في حساب المجموع كما أفرطوا في بذل ملح الطعام الأمر الذي لا يعدل شيئاً من مزاجي. ولكن، في آخر الأمر، لا تزال لدي الإمكانيات

(الحرارية) لدعوة ياباكسا الى مكانٍ مزوّد بالمياه الساخنة لأقلّد لها الفصل الثالث من مسرحية آدادا وهي أويرا من نوعٍ خاص. عند ركن الملابس، تستأذن الفتاة لدقائقٍ رغبةٍ منها في إصلاح زينتها. وتتوارى في المراحيض. أرمقُ المستخدمة التي تقف قرب مشاجب المعاطف إلا أنها لا تستحق نظرة أعور. إنها من مخلفات عصر فانت وتبدو بلطفٍ لسعةٍ يعسوب. ولقتل الوقت أدنو من اللوحة الكبيرة المثبتة فوق الجدار المحاذي أرى قصاصات من الورق مثبتة على اللوحة وقد اكتست بكتابات مختلفة تتراوح من الرديء الى الأردا. إنها إعلانات خاصة بالجالية الالابانية. عروض لبيع شقق وقطع أثاث ومنازل ريفية وسيّارات بالإضافة الى عروض عمل. القى نظرة عابرة على مضمون الاعلانات تبدو لي اللوحة كأنها واجهة وكالة لبيع الشقق السكنية وتأجيرها. وقد أرفقت ببعضها صور للبيوت المعنية أو للسيّارات المعروضة للبيع. وإذ همّ بإغفال بقية الإعلانات، يتشبّهُ نظر الكوميسير سان أنطونيو الثاقب بقصاصات تبدو أكبر حجماً من سواها وكتبت سطورها بواسطة الآلة الكاتبة بلونين. أتعلمون ماذا قرأت فيها؟ تشبّثوا جيّداً، هناك مزالِق وعرة! وممرّضة وسائق. الخبرة ضرورية. التقدّم الى مبنى القنصلية العامة. الرجاء الاتصال على الرقم ٥٣٢٠٩٦٧.

اكاد لا أصدّق عينيّ (الوطنيتين).

- أهو إعلان جديد؟ أسأل الأنسة حارسة الملابس.

ويتنظرُ مرّمة المعاطف الى حيث تشير سبّابة سان أنطونيو.

- لقد وضعته بعد الظهر، تقول:

وعلى الأثر تتغاضى عن وجودي لتردّ الى أحد الزبائن سترته.
أسارع الى تدوين رقم الهاتف. ولا بدّ انه من أرقام إحدى
الضواحي الغربية في باريس.

أشكر شفيح رجال الشرطة لأنّه ألهمني قراءة هذه الاعلانات.
لم أهدر وقتي بمجيئي إلى هذا المكان. وأشعر بالراحة لمثل هذا
اليقين. أرمقُ ساعتني فتشير الى العاشرة. لقد أطالت ياباكسا
غيبتها. فقد دخلت المراحيض منذ أكثر من عشر دقائق. أتمشى
قليلاً قبالة حارسة الملابس ذات الشاربين التي بدت قلقاً مثلي.

— هلاً ذهبت للتثبت من أنها هناك؟ أسأل.

فتذهب. ثوان معدودة. فتعودُ حارسة المبنى وقد ازدادت قلقاً.

— لقد أقفلت على نفسها في حجرة المراض ولا يبدر منها أي
جواب، تقول، أرجو أن لا تكون أصيبت بمكروه.

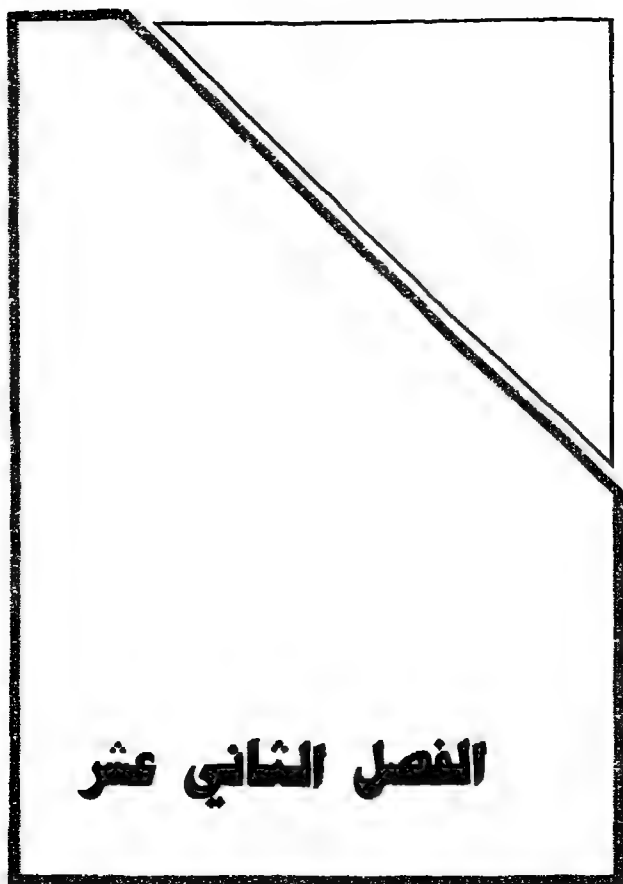
أهرع الى المراض وقيل أن اكسر الباب أناذي:

— ياباكسا، يا حبيبتي!

فيجيبني الصمت الأيكم. وبدون تردّد أندفعُ بكتفي وأخلع قفل
الباب. اللعنة! أقول على طريقة روايات القرن الماضي: أرى رفيقة
كُنْبَتِي (لا سريري) ممدّدة على أرضِ دورة المياه. شاحبة، أنفها
بارد وعيناها مغمضتان. أدسُ يدي تحت صدريتها لأتثبت من أن
الرفيق طق — طق لا يزال يخفق. واحسرتها! واحسرتها! واحسرتها،
لقد أوقفته الأعطال. الفتاة فارقت الحياة. ربّما تعرّضت لحادث
طاريء. أتخصّصها على عجل فلا أجد أي أثر قد يثير الشبهات. لقد
انطفأت بهدوء، من تلقائها.

كم أعجب لسرعة بديهة العاملين هنا وخفة حركتهم. إذ يأتي خادمان ويحملان ياباكسا وينقلانها الى الحجرة الخاصة في مؤخر المطعم. ويُستدعى طبيب من الجوار. فيحضر الى المكان ويؤكد الوفاة معلناً أن الفتاة المسكينة قد قضت بالسكتة القلبية. وينصحنا بنقلها خفية الى حيث تقيم لكي نجنب صاحب المطعم مضايقات الإجراءات القانونية. يضعونها في سيارتي وأنطلق في اتجاه المشرحة. احسب أن عملية التشريح ضرورية.

فما رأيكم انتم؟



يا لها من نزهةٍ ليليّةٍ، اليس كذلك؟

جثةٌ ياباكسا الفاتنة ترتجّ على مسند المقعد، وتقع أحياناً على كتفي. فأُضطرّ الى إزاحتها بمرفقي. كابوس حقيقي. أخيراً أصل الى المشرحة حيث أسلم جثة رفيقتي واتصل بالطبيب الشرعي طالباً منه أن يفحصها على جناح السرعة. فقد تكون السكّنة القليّة هي سبب الوفاة، إلا أنني أرتاب بالامر.

-ستبلّغني نتائج التشريح بالهاتف، سأكون في مكّتي، يا دكتور، أقول.

اغادر المكان الواجمَ بكثير من الإحباط وأدلفُ الى أوّل حانة أصادفها حيث أكرع كأس فودكا مزدوجة. لم يكتب لهذه الفتاة أن تشهد نهاية النهار. لقد انتهت إجازتها. وها هي الآن تدافع عن نفسها في حضور الملائكة. أرجو أن لا تعاقب بشدّة على خطاياها: فقد كانت تُجيد ارتكابها!

احتسي كأساً مزدوجة أخرى من الفودكا، ولكنّ الشراب لا يشدّ

من أزري، فثمة لحظات لا تنفع فيها أشد أنواع المسكرات في أن تمنحك النسيان.

✱

✱ ✱

- إذأ، يمكن القول إنك وضعت نفسك في موقفٍ حرجٍ! يستنتج العجوز.

يشبك أصابع يديه فوق الورق النشاف، ويُمعن النظر في أظافره ويزفر قائلاً:

- إننا نجري تحريكاتنا على حافة هاوية، ويستحيل أن نتقدم خطوةً واحدة.

- ماذا عن قتل الليلة المنصرمة؟ أسأل.

- طُلبَ منا أن نختم التحقيق بتقرير واقع السرقة. فعلة لصوص بوغوتا وهم يقتربون جريمتهم.

- ومن طلب منك أن تقرّر ذلك؟

- القنصل العام. لقد اتصل هاتفياً هذا الصباح.

- دون أن يقدم لك أي تفسير؟

- إنه يعلم جيداً أن السلك الدبلوماسي - في بلادنا - يتمتع بكلّ الامتيازات الممكنة، ولذلك ليس مرغماً على تقديم أي تفسير.

- ولكن هذه الامتيازات لا تشمل إطلاق النار على المرضى في المستشفيات، وعلى الفتيات في بيوتهم، وعلى رجال الشرطة أثناء الخدمة، كما لا تشمل على رمي الزجاجين - متكررين أم لا - من النوافذ! أقول ساخطاً.

فصدني الحيزيون بحركة من يده.

- بالطبع لا، يقرّ الحليق، ولكنّ لُبّ المسألة نجده في القنصلية.
والحال أن القنصلية منطقة محرّمة.

- وماذا لو تسلّلت الى هذه المنطقة المحرّمة، أيها الرئيس؟
يهزّ رأسه بعنف.

- لا أريدك أن تفعل، يكفي ما جرى الليلة المنصرمة! لقد قتل
بيروبيه إثنين من موظفي القنصلية، هذا يكفي!

- أجيّز لنفسي أن أذكّر بأنّ هذين الموظفين كانا يريدان قتلي. قد
لا يكون الفرق كبيراً، ولكنّي أصرّ على التذكير بالواقعة.

- لقد تسلّلت الى حرم القنصلية بطريقة غير قانونية! يعترض
الأصلح.

واحسب أنّها بداية المناكفة المعتادة، بيني وبينه.

- أترى أنّه من الأفضل أن نتغاضى عن القضية برمتها؟
يقطّب قائلاً:

- وهل تلفّظت بكلامٍ مماثل؟ لا، يا عزيزي، إنما أسألك أن تعمل
في الخفاء وأن تحترم قواعد اللعبة وتلتزمها. وقواعد اللعبة
الصحيحة هي أن تتجاهل أمر القنصلية.

- القنصلية، ربّما، ولكن ليس منزل القنصل الخاص.
- ماذا تقصد؟

- لقد استعلمت حول الأمر بقراءة دليل الهاتف. والحقّ يقال

إنها قراءة شاقّة، يا سيّدي المدير. القنصل يقيم في
رويل - مالميزون، شأنه شأن الأوّل.

- أي أوّل؟

- القنصل الأوّل، أي بونايرت!

لطالما اغتاط العجوز من التلميحات، وخصوصاً في اللحظات
الحرّة.

ولا بدّ أن دعايتي من صنع «ديجون»^(*) لأنّها صعدت تواءاً إلى
منخريه.

- أوه! أرجوك يا عزيزي، دعك من الثوريات...

أصرّ على الابتسام، فذلك يحول دون رغبتني في أن أغسل شعر
رأسه (المفقود) بمحتوى محبرته.

- كنت أقول إذًا، يا حضرة المدير، إن قنصل اليابان يقيم في
رويل - مالميزون. وتشاء المصادفة أن الرجل يحتاج إلى موظفين.
ممرضة وسائق. ولطالما أحببتُ أن أعرف عن كتب أناس الدارة
وخصوصاً أناس الدوّارة، أردفُ قائلًا رغبةً في مضاعفة حنّقه. وكم
أود أن تزودني غداً بأوراق ثبوتية وشهادات خبرة مزوّرة، لأختبر
حسن طالعي...

تنفرج أساريره.

- أعتقد أنها ليست بالفكرة الغريبة، يقول. بالفعل، قد تتمكن...

(*) ديجون مدينة في جنوب فرنسا، اشتهرت بصناعة الخردل. والقول الفرنسي
الشهير أن غاز الخردل يصعد تواءاً إلى الأنف، تعبيراً عن الاستياء أو الامتناع.

يصدح جرس هاتفه المدونن فيرفع السماعه.

- المخابرة لك، يغمغم قائلاً وقد أعطاني السماعه: الطبيب الشرعي.

يخبرني الطبيب أنه لم يجد ما يثير الريبة خلال تشريح جثة ياباكسا المسكينه. ويبدو، بالفعل، أنها قضت بميته طبيعياً، الأمر الذي يكذب كل ظنوني.

إلا أن نتيجة التشريح النهائية والرسمية لن تكون حاسمة قبل إجراء بعض الفحوصات المخبرية الأخرى. فأشكر النطاسي لحصافته وأستاذان الرئيس بالمغادرة. فيجيزني.

قبل أن أركن الى مخدعي، أقصد الحانة المقابلة لاحتساء نصف لتر من البيرة. أجد بيرو يخطب في جمع تحلق حوله بأطناب. لاحظ قطعاً من اللاصق المشمع تكسو جبينه، أنفه المهشم، وعينه المزتره بالسواد، اثر خياطة جراح على أحد حاجبيه، أما ذراعه فلقت بوشاح رُبط بعنقه. ويروي يروي تفاصيل «الحادثة».

- ترتمي الحيزيون تحت عجلات الباص. كاد يدهسها ويطحن عظامها. أما أنا فلا أتردد لثانية واحدة: أندفع نحوها وأطوق خصرها وأدفعها نحو الرصيف، وبعد ذلك لا يتسنى لي أن اتحاشى الباص فيصدمني. ظننت لوهلة أن رأسي قد تقلع. ثم احتشد المارة، حاولت أن أقاوم، لكنهم رفعوني على الاكتاف كبطل. ولن تصدقوا إذا قلت لكم إن عجزاً يحمل نذ المحاربين القدامى طلب بطاقتين لكي يقوم بالإجراءات اللازمة لمنحي ميدالية الإنقاذ.

تسود همهمة إعجاب بمثل هذا العمل البطولي. وأرى أنه الوقت المناسب لأدلو بدلوي وبالقلم الملائن فأخاطبُ الساذج الذي لم يزَ شيئاً ويروي الترهات دون قصد:

- إذاً، يا بيرو، أقول راثياً لحاله، هل هدأت زوجتك أخيراً؟ لقد صنعت بك صنيع الأعداء، أيا أرنبني المسكين. أتعلم أن ما حلَّ بك هو سببٌ شرعيٌّ للطلاق. فإذا عقدت العزم على ذلك، اعتبرني أولَ الشهود.

- ما هذا الهراء الذي ترويه! غمغم الدنيء وهو يرمقني بنظراتٍ كئيبة.

ويروح المتفرجون يتساءلون حول حقيقة الأمر.

- إن زوجته الغولة ستقتله ذات يوم، تنبأت قائلاً بنبرة مأساوية. فهو ضعيف حيالها، هذا البدين البائس!

تسود قهقهة عامة. ويكيلُ الندماء بحراً من التعليقات الساخرة حول صدام بدانته والحرم المصون. فيبلغ منه الغيظ مبلغاً يجعلُ المهان في كبريائه يَشقُّ رخام الطاولة بضربةٍ من قبضته.

- لا أسمع على الإطلاق أن توصف السيِّدة بيروية بالغولة! يُرعدُ حضرته. وإذا طرا أي سوء تفاهم مع زوجتي، فهذا لا يعني أحداً سواي. ففي كلِّ الزيجات أسباب للخلافات البسيطة، ومن شأن ذلك أن يُلهبَ المشاعر ويجدِّدها!

يكرع قدحه وينهض.

- وإذا كنتم تحسبون أنني سأدفع ثمن كؤوسكم فلا بد أنكم حالون!

الحق به على بُعد خمسين متراً من الحانة حيث كان يسير
متثاقلاً عارجاً مثل حمار عجوز.

- اسمع أيها البدين:

- تبّاً لك! فالحاذقون الذين يريدون جعل وجهي مثل مؤخرة
السعدان لا يستحقون رفقتي! سواء كانوا من رؤسائي في التراتب
المهني أم لا، سيّان عندي!

صرفت عشر دقائق وثلاث كؤوس من السنزانو في الحانة التالية
قبل أن أفلق في استرضائه.

وعندما استكانت ثورة غضبه، أخيراً، صار بإمكانني التحدّث
اليه في أمور العمل.

- اسمعني جيّداً، أيها الخُرجُ العتيق، أقول له، غداً سنشنّ
هجوماً شاملاً على القنصلية.

- هل اندلعت الحرب؟

- لا، ليس بعد. ولكن إذا استطعت أن تكون بمستوى
المسؤولية، سنتمكن من تلافي نشوب الحرب. وهكّ ما سنفعل.

وأشرح له خطتي.

أشرح خطتي لبيرووليس لكم أنتم، لأنكم، في آخر الأمر، لستم
بمستوى المسؤولية. وثمة أمسيات لا أطيق فيها أمثالكم!

الفصل الثالث عشر

في صبيحة اليوم التالي، أَدْلَفُ الى المكتب وقد ارتديت زياً خاصاً.
 طقم رمادي غامق، عتيقٌ لكنّه نظيف، قميص أبيض وربطة عنق
 سوداء، وحذاء مُفْلَع لكنه ملّمع باتقان. لقد أنبأتني المرأة بالخبر
 اليقين: كلُّ ما في مظهري يدل على مهنتي كسائقٍ خاصٍ لعلية القوم
 ولكنّ في ثيابه المدنية. وقد دفعني حرصي على الدقة الى اعمار بيريه
 خُلديّة، ذات إبريم مُشَقَّق.

يُبدِي العجوز إذ يراني رضاَ ظاهراً في عينيه اللتمعين.
 - هاك الأوراق وشهادات الخبرة. إذ قد يتصل جماعة القنصلية
 بمخدوميك السابقين: وفي هذه الحال سيحصلون على معلوماتٍ
 مُرضية بشأنك.

قبل أن أندفع كالقطار في اتجاه رويل - المليونز أمرٌ بمنزل
 موربيون. لم يُعد بعد الى الدار (كما يقول أهل السافوا).

قططه الجائعة البائسة تهرُع للمواء خلف الباب، ما يُثير شفقتي
 عليها، فأطلب من حاجبة المبنى أن تهتم بها في انتظار العودة
 (الميمونة ولكن الاشكالية) لأستأذي العجوز.

أقودُ سيّارتي الجكوار طيراناً حتى محطة رويل. فأركنها حيث

ينبغي وأستقل سيارة أجرة لتقودني الى دارة تقع في جوار قصر فيفين، حيث يقيمُ سعادة القنصل. المنزلُ عادي من طراز إيل دو فرانس أشبه بكعكة بالكريما، ويُدعى «جنتة الرباط»^(*)، تحيط به حديقة واسعة لا تقلّ مساحتها عن هكتارين معظمها أرضُ بور. وما إن أقرع جرس البوابة الخارجية حتّى يهرع إليّ كلبان المانيان لا يُخفيان انيابهما المستنّة. وعبثاً يجفّ حلقي في مناداتهما بالطف الاسماء: ميدور، بوبي، قطتي الوداعة وحتّى أرنبى الصغير؛ يمكث الكلبان على ترصّصهما واستعدادهما الظاهر.

رجلُ حليق الرأس له سحنةٌ مصارع مثالية يتقدّم نحوي بحركة آلية بالغة الدقّة.

أحسبُ أنه أحد أقرباء الغوريلا الذي قُتل في القنصلية في تلك الليلة حتّى ولو كانت درجة القُربى لا تتعدّى صديق الأب.

— ماذا تريد؟ يسألني بجفاء.

أبلّل شفّتي بطرف لساني قبل أن أجيبه مُتصنعاً رباطة الجأش:

— لقد جئتُ للسؤال عن وظيفة السائق.

يرمقني بنظراتٍ فاحصة من أعلى رأسي حتّى قدميّ ومن الكتف الى الكتف وفي الاتجاه المعاكس. ثمّ تبدر منه حركة استياء ويفتح البوابة مخاطباً الكلبين بكلمات لا أفهمها. فقد تلفظ بعبارات الابانية، إذ يبدو أنّ هذين الكلبين الظرفيين لا يتكلمان الفرنسية.

(*) مونوع من النبات.

نسلُكُ ممراً تكسوه الأعشاب البرية بين صفين من الأشجار.
وإذا بالمنزل يطالعا وسط جُنية فسيحة. وبرغم أن النهار لا يزال
في أوله يبدو المنظر وكأنه مضاء بأشعة قمرية خافتة ومردّ هذا
الانطباع، في ظني، شحوب لونِ جدرانهِ وسطحه الأردواز المائل الى
الاخضرار.

يُدخلني الحارسُ الى ردهة عتيقة بعض الشيء حيث أنتظر فيما
يصعدُ درجاً من الخشب. أمكث للحظات أتتشق الرائحة العطرة
التي تملأ المكان (كما يقال في مصنع سيمكا). فتتناهى إليّ أصداء
تسجيل لموسيقى موزار. موزار، إنها موسيقى جميلة.

أسمع وقع أقدام فالتفت، فيطالعني وجهُ شاب نحيل وشاحب،
ضخم الأنف ويرتدي ملابس سوداء. أحسبُ أنه، بلا ريب، سكرتير
القنصل الذي رأيته بالنظارة من نافذة بيتِ موربيون.
يرمقني بنظراتٍ خالية من اللطف (ذلك أن اللطف متعذّرُ معه).

— هل أنت سائق محترف؟ يسألني بجفاء.

— أجل يا سيدي. إذا أردت أن تطلع على شهادات الخبرة التي
أحملها، تفضّل. لقد عملت طوال السنوات الست المنصرمة كسائقٍ
خاص لكونت دو لا موت بوريه.

— ولماذا تخلّيت عن العمل هناك؟

— هو الذي تخلّى عني، يا سيّد، أجيبه بشيء من الأسى. لقد توفي
حضرة الكونت خلال الأسبوع المنصرم.

يدقّق في الأوراق التي تدبرها لي الكهلُ هذا الصباح.

— وكيف علمت أننا نبحث عن سائق؟

- لقد أبلغني بذلك أحد أصدقائي الذي يعمل في مطعم الاباني
عند ساحة بيرير.

- لقد كُتِبَ في الاعلان أنَّ على الراغبين أن يتَّصلوا هاتفياً لا أن
يتقدَّموا شخصياً.

- اعلم يا سيدي، ولكنني ارتأيت أنَّ المقابلة الشخصية أفضل
بكثير، لذلك تقدَّمت شخصياً دون أن أتصل بكم أولاً.

يواصل تحديقه بي. وأرى في عينيه مقداراً من الرقة يُعادل الرقة
التي قد المحها في عيني قطريط ذنبه الى جرس.

- اتسمح لي بها لبعض الوقت؟ يقول ملوحاً بأوراقه.

ثم يغادر. لقد كان الرئيس محقاً في التزام تدابير الحيطة.
فسيعمد هذا المافون فعلاً الى الاتصال بمخدومي السابقين.
وبمعنى ما إنها علامة جيِّدة. فهذا يعني أنَّه يوافق مبدئياً على
استخدامي.

وبالفعل ها هو يعود بعد أن تغيب لمدة ربع ساعة، ويبلغني رده
الايجابي. ثم يشرح لي شروط العمل وها أنذا أصبحت موظفاً لدى
الابانيين. وسأبدأ في فترة ما بعد الظهر. يبدو الأمر أسهل ما
يكون، اليس كذلك؟

*

* *

آه، كم يبدو وسيماً عزيزكم سان - ١. ببدة السائق البانخة، يا
أحبائي! فانا لا أجد صعوبة في التكر بأي زبي كما تعلمون. وقد
حدث لي أن تنكرت في زبي عامل وقس وجزار، وانتحلت شخصية

أوسيدار وشخصية فحّام ورجل اطفاء وكهل ثمانيني ومصّاب
بالسفلس، وشخصية فتاة عريقة النسب، وشخصية مصّاصة
ومجنّد وسنسكريتي ومظلة وجنرال وفرو وهزّ مجاري ومنظف
مداخن وبطريق ولويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر والسادس
عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرين.
وشخصية احدى قمم ألونمسون، وشخصية محاسب وبائع
مرطبات وعربة يد وزجاج ومشاكس وحوذي وكاردينال وناظر محطة
وزوج ملكة انكلترا وياباني، ومادة مطاطة، ونبيل حزين وحاخام
وروين هود وداني روبن وروينسون وثوب وصنبور وروب غريبه^(٥)
ورجل آلي ومقدام ومظلي، ولكنها المرّة الأولى التي أتتكر فيها في
شخصية سائق. إن بزة الرقيق هذه تبدو كأنها صنعت لي
خصيصاً. الأزرار مُلمّعة، الخياطة متقنة، السترة على المقياس
والكسكيت على أحسن ما يكون، وأستطيع حين ارتديها أن أكون
مودياً مثالياً لمجلة مختصة بالأزياء عبر العصور، بدءاً بزي آدم
وصولاً الى بدلة الاحتفالات الرسمية والسترة المخططة وقبّعة
الأرياش التي تزيّن الاستعراضات العسكرية.

يبدولي الرجل الذي يستقبلني رجُل ثقة فاطمئن الى رقة رموشه.
- أنا السيد وادونك هيثورد، السكرتير الأوّل لسعادة القنصل،
يقول معزّفاً بنفسه. وستبدأ بتجهيز احدى السيّارات: سيّارة
البيجو، لأنك ستذهب عصر هذا اليوم الى النورماندي.
فأتحني احتراماً. ويشير الى المرآب فأنصرف الى مشاغبي
الجديدة.

(٥) أحد الروائيين الفرنسيين المعاصرين؟ رائد تيار «الرواية الجديدة».

يحتوي المرآب على ثلاث سيّارات. سيّارة قديمة طراز بنتلي باذخة مثل حفل استقبال في بكتفهام بالاس، وسيارة بيجو ٤٠٤ رمادية وسيّارة دوقين سوداء. فأقترب من الـ ٤٠٤ إذاً لا أعرف تماماً ماذا يعني وادونك هيثودورب «تجهيزها». فهي جاهزة على أربع عجلات وعبّئت بالكميات اللازمة من البنزين والزيت. وكلّ ما استطيعه هو أن ألصق غطاءها لكي تستعيد لمعانها الغابر.

أقودها الى خارج المرآب وادنوبها من المنزل حيث عثرتُ على صنبور ماء خلف المبنى. وأنهمك بتلميع العربة بكلّ ما أوتيتُ من نشاط. ذلك أني أشعر بأن أحداً ما يراقبني فأبذلُ ما في وسعي لألعب دوري ياتقان. يبدو المنزلُ غارقاً في سكينته المبهجة مثل محاضرة للآب دويانلو حول حياة الرهبان.

يسودها صمت شبه مُطبق. إذ يبدو لي أنّ هذا المنزل الواسع لا تسكنه إلا قلة قليلة من الأشخاص. وعندما أرى أن سيّارتي أصبحت بلمعان الحجارة الكريمة التي ترصع تاج ملكة انكلترا، أعيدها الى المرآب. وبين الحين والآخر يقترب مني الكلبان ويتشعّمان ثيابي على نحوٍ يثير فيّ القلق.

ليس لأنني خائف أو أي شيء من هذا القبيل، ولكنّ الحق يُقال: كم كنت أودّ أن اشاهد فيلماً للوريل وهاردي بدل كل هذا الهراء!

أعودُ أدراجي الى المنزل بخطواتٍ رشيقة، رغبةً مني في زيارة أرحائه قليلاً، أوليس هذا سبب مجيئي الى هنا؟ وفيما أتقدّم في اتجاهه ألقي نظرة عاجلة على واجهة بنائه البائسة. والمُح طيفاً خلف إحدى النوافذ في الطبقة الأولى. إنها امرأة، أزاحت الستارة قليلاً ومكثت ترمقني بنظراتٍ فاحصة. وكلّما اقتربت من المنزل تبدّى لي

أنها امرأة رائعة الجمال. انها شقراء، شابة متناسقة الملامح. فأنحني في تحية إجلالٍ. وأدخلُ الى المنزل من باب العموم.

المطبخ هو أكثر حجرات المنزل خراباً. إذ يبدو طلاء جدرانها مقشراً، وفي وسطه قدر هائل في شكل كروي عُلق بواسطة سلسلة مثبتة في السقف. أما قرن الغاز فقد كساه الصدا. الحقيقة ان القنصل لا يُكَبِّد جيوبه الكثير لإصلاح ما تهدم. أمام قرن الغاز تقف فتاة جميلة ذات استدارات باذخة طراز راقصات التعري. انها منهمكة بتسخين رضاعة حليب في وعاء من الماء الساخن. فاستنتج على الفور أنه يوجد طفلٌ رضيع بين سكان هذا المنزل.

لم أَر من الفتاة في البداية سوى ظهرها وما يتبع. ولا اشعر بأنني على عجلةٍ من أمري قبل أن تستدير، ذلك أن ناحية القفا منها لا تخلو على الإطلاق مما يُثير ويمتع النظر. الخصر شيق والردفان على استدارةٍ هي من بين أجمل ما رايت، أما ساقاها ففيهما ما قد يُضرم صدر تمثال حصي بالحسد. ثم تستدير فجأة فيسقط في يدي. إذ أرى أن الفتاة صهباء وتلتصق حذقتها الخضراوان بنمشٍ مُذهَّب فيما تتألق بشرة وجهها بنمشٍ داكن. وما إن تقع عينك على شفثيها حتى تحسب أن تياراً قد مسَّ أوصالك. ولكي تتمكن من الإفلات يلزمك مغل وجزار وبزينة قوارير من أوكسيجين اللحام.

تطالعني بابتسامة. فتبدو أسنانها البيضاء منشدة لائق الحياة والجمال والحب بكل ما يحيط بها ويكتنفها!

- صباح الخير، أقول مغرّداً، ذلك أنني، كما تعلمون جيداً، أمتلك دائماً القول المناسب لبدء المحادثة.
- صباح الخير، تجيبُ على الفور.

- أنا السائق الجديد، أقول معرفاً بنفسى: انطوان سيمون!
- وأنا أدعى كلير باييه، تجيبُ الطفلة الصهباء، الممرضة الجديدة.

- وزبونك كم يبلغ من العمر؟
- ستة أشهر. انه جميل الطلعة وفي صحّة ممتازة. أما رأيت
بعد؟

- لقد وصلت لتوي.

- أنا أيضاً...

تلمس الرضاعة للتثبت من درجة سخونتها. ويبدو أنها لم تبلغ
بعد السخونة المطلوبة لأنها أعادتها الى وعاء المياه الغالية.

- إنه منزل غريب، تتمم قائلة. يكاد يكون خالياً من السكان.
- أحقاً؟

- أحسبُ أنه باستثناء الطفل ليس هناك سوى رجلين آخرين في
الوقت الحاضر.

- أحقاً؟

- حقاً!

- أستطيع أن أوكد لك وجود شخص آخر: لقد شاهدتها خلف
احدى نوافذ الطابق الأولى: إنها امرأة شقراء تبدو عليها سماتُ
الكآبة.

- ألا يُعقل أن تكون أمَ الطفل؟

- ربّما.

- هل قابلت القنصل؟ تسأل.

- لا، وأنت؟

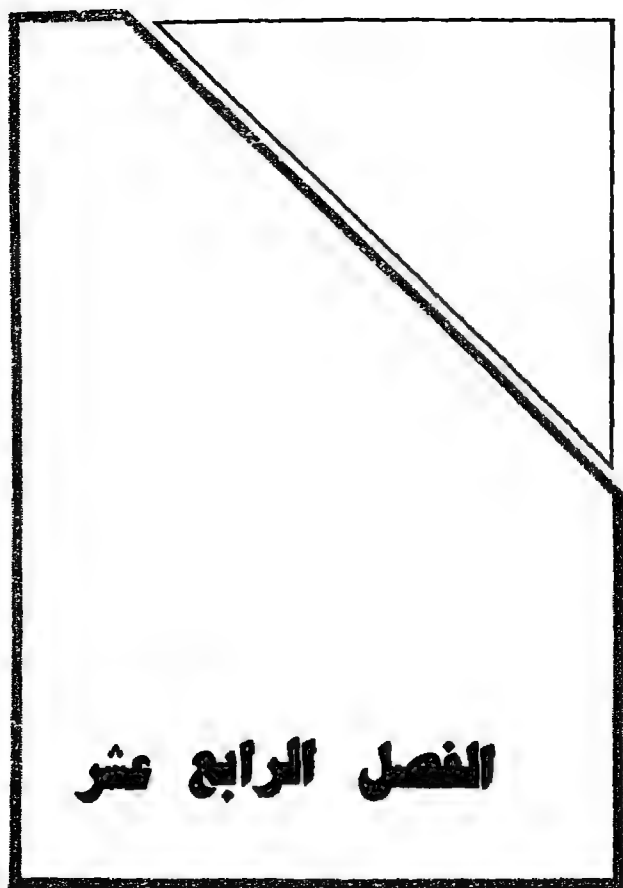
- لم أره بعد.

وتحمل الرضاعة وتغادرني بابتسامة عريضة محملة بالوعود
كبيان انتخابي.

أمكث في المطبخ وحيداً. أفتح الخزائن وأجد فيها كمية كبيرة من
المؤن. يبدو أن أهل البيت يُعانون من نقص في عود العاملين. لم
أر حتى الآن طاهية أو مدبرة منزل أو خادمة.

هناك العتيعت الذي فتح لي الباب، والسكرتير الشاحب في
ملابس الحداد والطفل الرضيع والمرأة الشقراء... بالإضافة الى
ممرضة وسائق استقدا للتو... والحقيقة، ودون رغبة مني في
انتحال أدوار شرلوك^(*)، إنني أرتاب في الحكاية برمّتها. إذ يبدو لي
من المستهجن فعلاً أن يستقدم سائق وممرضة للعمل في هذا المنزل
الخرب الذي ينضح بالرطوبة، دون أن يكون فيه أي مستخدم آخر.
أمكث لحظاتٍ أخرى في المطبخ. ولكنني لستُ من طراز أولئك
الذين يستوطنون أماكن زياراتهم؛ وفي غضون خمس دقائق أغادره
لاستطلاع أرجاء أخرى.

(*) شرلوك هولمز: بطل روايات آرثر كونان دويل البوليسية. (م. ع. ح).



صالة طعام فسيحة كُسيت جدرانها بتلبيسات خشبيّة وخزانة
أطباق على الطريقة الفرنسية. ردهة استقبال أكثر اتساعاً أيضاً
وقد أعلت أفاريز حيطانها الناتئة في شكل هلاليّات، ثم غرفة مكتب
تفوح منها رائحة الخشب المتعفن.

هذا كل شيء بالنسبة للطبقة الأرضيّة، فأثاثها عتيق وبشع
وبال، بعضُ الكنبات غطيت بشراشف وبدت مصاريع النوافذ كأنها
أقفلت منذ زمن بعيد ولا بدّ أنه بات يصعب فتحها بسبب تراكم
الصدأ على أقفالها. لذلك أحسب، وحسباني صائبٌ بلا ريب، أن
سعادته لا يُقيم الكثير من الاحتفالات الراقصة في داره.

إنه قصر «غراب الغاية النائمة»، والحق يُقال! فالمساكن
الشاغرة لها رائحة خاصة. أمّا هذا المسكن فيعبقُ برائحة أكثر
نفاداً: إذ يعبقُ برائحة المساكن المهجورة! ويخطر لذهنه أن يدعو
إليه ثلاث جرّارات بولدوزر لتلعّب لعبة الاستغماية في أرجائه.

أعود أدراجي الى ردهة المدخل وأسترق النظر في اتجاه الباب.
ما زالت حقيبتي هناك لأن وادونك هيثوريدو لم يقل لي بعد في أيّة
غرفة سأقيم.

ما العمل؟ أنتظر هنا أم أواصل جولتي الاستكشافية؟

أغامرُ بصعود السلم. فتبدولي الطبقة الأولى خاليةً من الروائح المقبضة التي تسود الطبقة الأرضية. فالرائحة هنا أقربُ الى روائح الأنس: ومن خلالها يُدرك المرء أنَّ أناساً يقيمون فيها. نحيب طفل يتناهى من مكان ما. أنعطف عند الزاوية فألمحُ صديقي الغوريلاً جالساً فوق كنبٍ عتيقة شبه محطمة. إنه يقرأُ جُرناً لا الألبانيا. وما إن يتنبه الى وجودي يخفضُ جُرناله ويحدجني بنظراتٍ مفترسة.

— ماذا تريد؟

— أن أعمل، أجيب. لقد أنهيت غسل الـ ٤٠٤ وأودَّ أن أعرف ماذا أفعل أيضاً.

— عدُّ الى الأسفل، وهناك سيقولون لك ماذا ستفعل.

لماذا يجلس في هذا الرواق، هذا الرجل البارز العضلات؟ أحسبُ أنه مكث هنا لمراقبة أحد ما. ولكن مَنْ؟ الممرضة الجديدة؟ أم الامراة الشقراء؟

أهبط السلم على مهل. ويثيرُ في بكاء الطفل الذي يتردّد في أرجاء هذا المنزل الخرب، مشاعر غريبة. إذ تسودُ المكان أجواء غامضة تدعو الى الإحباط والقلق وتشيع مَسحةً من الوجوم الخانق...

كم أوثر التنزّه في حديقة عامة. فالطقس جميل، عذبٌ ومكفّهٌ بعض الشيء. وكأنَّ السماء تسيلُ في جفائنٍ هائلة تجرّها نسائم الغرب. أعودُ الفسحة أمام واجهة المبنى حيث نافذة المرأة الشقراء. أرى أنها غادرت مرقبها. وأسمعها تتحدث الى شخص

ما. تتكلم الالابانية بنبرة انفعال حاد. ثم جلبة باب يُصَفَّق بقوة.
ويخيم الصمتُ مجدداً، مُطبّقاً مثل مياه راكدة، خداعاً ورهيباً!

ولحسن الحظ أنّ كلير هنا. أنّها، على الأقل، زاخرة بالحياة.

يظهر وادونك هيثوردو على العتبة. ويفرقع أصابعه ليشير عليّ
بالاقتراب منه.

— ستغادر الآن برفقة الممرضة والطفل، يقول.

يسحب من جيبه قصاصة ورق.

— ستقلّ الممرضة والطفل الى هذا العنوان، بعد ذلك بإمكانك ان
تمضي ليلتك حيث تشاء على أن تكون هنا عصر يوم الغد، لنقل عند
السابعة مساءً.

فأشكر السيّد على هذه الإجازة القصيرة ولكن الفورية.

— أعذرني يا سيّد، أغمغم قائلاً، هلاًّ منحتني سلفة مئة فرنك من
راتب هذا الشهر، ذلك اني، كما تعلم... هه؟

إنّ مثل هذه التفاصيل الثقافية هي التي تجعل الخدعة أشدّ
واقعية من الواقع. ولا بدّ ان آخر شكوك وادونك هيثوردو بشأني
قد تبدّدت الآن نهائياً. فيخرج محفظته من جيبه ويُعطيني ورقة
نقدية من فئة المئة.

— شكراً جزيلاً يا سيدي، أقول.

— هناك أمر آخر، يقول مقاطعاً. احرص أن ترتدي غداً برتّك
الرسمية الكاملة. فسعادته سيذهب الى حفل استقبالٍ رسمي.

فأبادر قائلاً.

— سمعاً وطاعة يا سيدي.

— حسناً إذاً، إذهب وساعد المريضة.

أعود الى الردهة حيث تنتظرني كليز وقد حملت الطفل بين ذراعيها. فأحمل حقيبة المريضة الجميلة وحقيبة الطفل وأقود مرافقتي الفاتنة الى السيارة. وبينما أضع الحقائب في صندوق السيارة تحت أنظار وادونك الثاقبة، أسمع صراخاً حاداً مصدره المنزل.

فالتفت في اتجاه مصدر الصوت إلا أن هيثوردو يهز رأسه مبتسماً.

— دعك من هذا! يقول لي بصوت مُطمئن، إنه الراديو، حيث تذاق حلقة من مسلسل بوليسي.

أعترف أن تفسيره هذا يصدر عن مخيلة بانسة، إلا أنني أتناهر بالاعتناع.

وهوب لالا! ها نحن ننطلق. أنظر الى قصاصة الورق التي يؤدني بها السكرتير. أقرأ: «لوكلو فلوري» في فرنوي سور أفر. فأسلك اتجاه سان جرمان لأصل الى الطريق الفرعية التي تفضي الى الأوتوستراد الغربي. أنظر الى كليز خلصة وقد جلست برفقة الرضيع النحاب في المقعد الخلفي. وألاحظ أن هذا الأخير لا يحرك ساكناً.

— أهو ناثم؟ أسأل.

— أجل.

— ألا تريدان أن تنتقلن الى المقعد الأمامي؟

— ولماذا أفعل؟ تقول كثير بشيء من الدهشة (أوبشيء من تصنع الدهشة).

— لأنني أبغض أن أصرف عمري وأنا لا أرى الناس إلا عبر المرأة الارتدادية. بالإضافة الى ما يمثل ذلك من خطر حقيقي بالنسبة للسائق. فحين تجلسين بقربي لن أضطر الى التحديق المتواصل بالمرأة...

وإذ تتجاهل سؤالي، ألحّ عليها بنظرة جانبية أردتها نظرة إغواء من الحرير الطبيعي.

— يجب أن تأخذي بعين الاعتبار سلامتك وسلامة الطفل الذي وضع في رعايتك يا كثير.

— كفتّ عن هذارك! تقول بجفاء. كم أبغض الخدم المحظيين الذين يمثلون دور زير النساء.

كانها تبصق في وجهي، أيها الفتيان. لقد طرقتُ البابَ الخاطيء في تصرّفي مع هذه الفتاة: إنها متعقّفة، الأنسة جِشمة! لا تحبّ الثثرة وليس في نيتها الخلط بين القمح والزّوان.

يا لخبية الأمل. بدعة مثل هذه كم يسيل لها لعابي. فلطالما عشقتُ البدع المماثلة.

انطلقُ مسرعاً، إذأ، في اتجاه النورماندي. ليست مسقط رأسي ولكنّها، برغم ذلك، منطقة جميلة. صنعتها يسقمني. فعندما أكون برفقة فتاة جميلة وتكون ضمن مجالي الحيوي يُصبح الأمر أقوى منّي. وأشعر برغبة ملحة في أن أروي لها قصّة الرجل الذي شاهد

الرجل الذي شاهد العظم. وبعد وقتٍ أعادُ الإلحاح مواربةً
(ومتأهباً لتلقي الردّ).

- يتراءى لي أننا وقعنا على أناسٍ غريبين الأطوار، أليس كذلك؟
أقول. يبدو لي أنّ الألابانيين ليسوا على خير ما يرام هذا العام.

- صحيح، تقرّ الآنسة حريق، من جهتي لستُ نادمة على مغادرة
ذلك المنزل المشؤوم.

وتحاول تهدئة المخاط الذي راح يبيدي بعض علامات الضيق.
أراقبها في المرأة كيف ترعاه بحركات حاذقة ورقيقة.

كم هو جميل فنّ رعاية الأطفال.

- ألم يخطر لك أبداً أن عملي لحسابك الخاص؟ أسألها.

- ماذا تقصد؟

- أقصد ألا تراودك الرغبة أحياناً في رعاية طفل من صلبك؟

- بلى، أحياناً، تقول كثير.

- عندما تتخذين القرار الحاسم بذلك، ليس عليك إلا أن تشيري
علي باصبعك، فمثل هذه الخدمات اختصاصنا، وأنا واثق أننا سويّاً
قد نفلح في انتاج ما يُرضي.

وإذ بها تقطّب مجدداً. إذ لا بدّ أنها عثرت على قيسها منذ بعض
الوقت وما هي تلعب دور العاشقة المخلصة. والإخلاص ليس ميلاً
باطنياً كما يُخيّل لمعظم الناس بل هو نزوة عابرة. تكون احداهنّ
معرضة لأي اغواء وما إن تقع على الفتى الملائم حتى تلعب لعبة
الحقوق الحصرية! وتحسب أنها أصبحت مرتبطة بعقد وفاء. فلا

يعود بالإمكان مَسَّ اصبيحها الصغيرة ولو بواسطة ملقط الماس! ثم ذات صباح يُعاودها الملألُ من هودجها فيستحيل حرزها الحرير الى مركز استقبال وإرشاد. ولكنّها بين الفاصلتين تكون قد أفلحت في التمثيل. وصدّقت دعوتها، وراحت تنزّه مغانتها مثل مقدّساتٍ محرّمة. احذروا اللمس، انها مُلكية أرست أوفلان! تَبّاً لَهُنَّ من فاسقات! هيّا! السوسة في الدماغ. غرامهنّ السينما ويصنعن الأفلام التي تناسب أذواقهنّ! وما إن يُبادر أبلة ما الى مغازلتهنّ حتّى يتمنّعن!

- هل أنت مخطوبة؟ أسألكها.

- لا، تجيبني.

- هيا أوتزعمين أنّ حياتك مقفرة وتشبه صحراء «غوبي»؟

- لديّ صديقة، تقول.

فتنطّ جوزة عنقي من هول المفاجأة! لقد سمعتُ جيّداً، قالت صديقة، في صيغة المؤنث، اليس كذلك أيّها الفتّيان؟ أسمعتم ما سمعته؟ هناك خطأ ما. ها أنذا أقع على واحدة من أنصار التحرّر الجنسي الأنسة تكشف أوراقها كاملة! وأحسبُ، على هذه الحال، انها لن تحصل على مولودها الخاص بين ليلةً وضحاها (إذا جاز لي القول). وماذا لو كانت كاذبة، أنّه صنيع النساء المثالي! صبيّ في الخامسة والسبعين لا يتمالك نفسه حيال ما أسرت به! فتاة جميلة مثل كلي، بالصورة البارزة الملوّنة، وبعطر روشا وشرفة مطّلة على البحر، ثم يتضح أنها الخسارة الكبرى للإنسانية المعدّبة: لا بد أن في الأمر ما يدفع الى الجنون. ولا يرغب واحدنا عندها إلّا أن يحمل عصا الحجّ قاصداً عذراء لورد ليضيء شمعةً بمتابية نخبها! ولكن

للأسف الشديد ما عاد المرء يعثر على عصي الحجاج إلا في أقاصي
أرياف فرنسا.

— لقد خاب ظني، أقول دون قصدٍ متممًا.
إلا أن كلامي هذا لا يستثير فيها أي انفعال.
— حقاً؟

— ربةً للجمال مثلك، كيف تغامرُ بأن يشملها الحرمُ الكنسي، إنه
امرٌ مخيبٌ. ألم تعرف في رجالاً من قبل؟
— بلى، ولكن التجربة لم تكن مُقنعة..
— ذلك أنك وقعت على الرجل غير المناسب. ولكن دعينا من هذا
كله، ففي آخر الأمر لكل منا ذوقه ورغباته.



«لوكلو فلوري» هو عبارة عن نزلٍ نورماندي ظريف، يقع وسط
حديقة فسيحة على ضفاف «الآرف». وتُشرف على الدارة عانستان
مهفهفتان تستقبلان وفودنا بالصراخ والتعبير عن الإعجاب بالطفل
الرضيع. قرصات خفيفة لذقنه اللحمية المديّبة وأسماء غريبة
تخترعناها لمناداته تتبناها زفرات خفة وبهجة.

أبدو مندهشاً لأن هذا النزل الخاص لا يُشبه في شيء ما كنتُ
أتوقعه قبل مجيئي إليه. كنتُ أحسب أننا سنصل الى مكان مشبوه
وخرّب، وأجد أنه، على العكس من ذلك، مكان نظيف وصحي ويدعو
الى الارتياح. انه مناخ الريف العذب بكل دقته.

وبينما انهمكت كثير باستكشاف مكان إقامتها الجديد، أعمد

الى التحدّث قليلاً الى احدى الآتستين.

- هل سبق لك أن قابلتِ سعادته؟ أسألها.

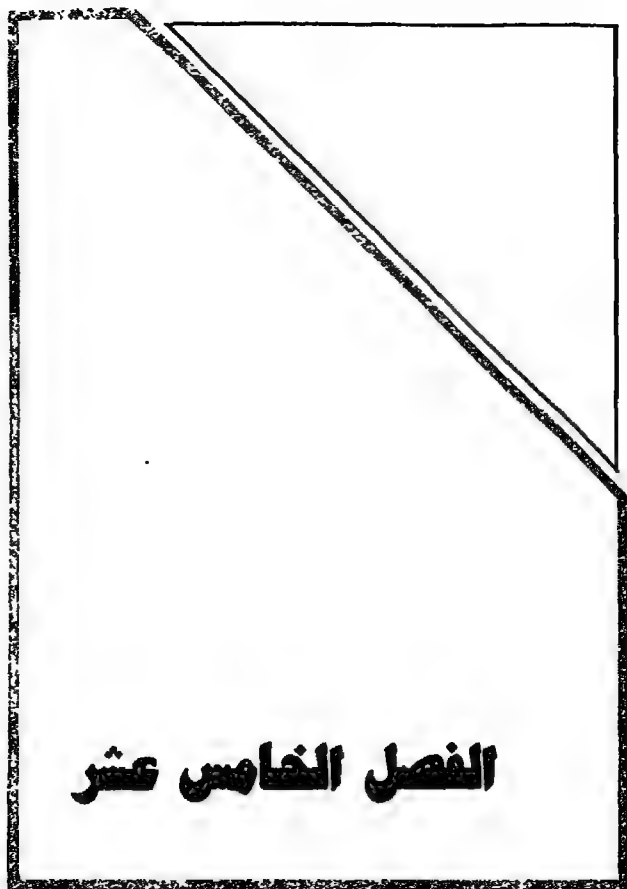
- لا، لقد جاء سكرتيه لاستئجار الغرف. ولكن بالله عليك بلّغ
سعادة القنصل كم نحن فخورتان، أختي اورتانس وأنا، لاختياره
دارتنا. انه شرف كبير...

الخ... الخ...

- ألا تحفظين النشيد الوطني الألاباني؟ أقول.

- لا، أبداً.

- إذا ينبغي أن تحفظي كلماته وموسيقاه جيّداً. لأن سعادته
يريد أن تنشديه كلّ صباح على مسامع ابنه عندما يستيقظ.
وأغادرها عائداً الى باريس وقد ملأتها الحماسة بهجّة وارتباكاً.



في طريق عودتي أتوقف لبعض الوقت في سان كلوكي أبذل
ملابسي. ولا تخفي الوالدة دهشتها حين تراني مُقبلاً في زي السائق
الذي ارتديه.

- أنطوان، يا صغيري، تقول بزرقة، أحياناً أشعر بأنك تتصرف
بغربة!

فاقبلها.

- إنها دعابة، مجرد دعابة يا أمي.

وارمقها بحنان. تبدو وكأنها تقدمت في السن، فيليس الحبيبة.
في الآونة الأخيرة. لقد ازدادت التجاعيد حول عينيها وصدغيها.
وغزا الشيب شعرها. نظراتها حزينة بعض الشيء. فينقبض لمرآها
صدري. وأقول في سري ان العمر يتقدم بها في غمرة المخاوف
والقلق. لقد أمضت حياتها لا يفارقها القلق لمصير ابنها. وذات يوم
ستفارق هذه الدنيا وستلازمني مشاعر الندم لأنني لم أصرف
مزيداً من الوقت بقربها.

- أنا أحبك كثيراً يا أمي.

فتبدو مغتبطَةً وتبتسم. وتداعبُ خَدَي بطرف أصابعها دون أن تُجيب.

— اسمعي يا أمّاه، أعلم جيّداً أنني غالباً ما أغدقُ عليك بالوعد وأنني لا أفي بها كثيراً، ولكن الآن، انه وعد قاطع. فما إن أنهي القضية التي أتولّاها اليوم سنذهبُ سوياً لقضاء خمسة عشر يوماً في الريف.

طبعاً هي لا تصدق حرفاً واحداً ممّا أقول، لكنّها تنتظرُ الى كأنها تصدّق فعلاً.

— بالطبع، يا أنطوان.

— لدي إجازات لا تُحصى. فلو أنني أطالب اليوم بكلّ ما استحقّ لي من اجازات فسيكون بإمكانني أن أحظى ببقاعد مبكراً! سنقصد ركناً ما، غير بعيد. وبأية حال لن تعيقنا المسافة مهما بلغت. ناحية فيكسام، أتحبّين ذلك؟ وسنعشر على نزل غير مجهّز بخط هاتفي وسنأكل الكركند، كثيراً من الكركند. وبإمكانك أن توضّبي الحقائق منذ الآن، إنه وعدٌ قاطع لا رجوع عنه.

✱

* *

ارتدي ملابس مدنية وأنظر الى مُنبّه اليد. انها تقاربُ التاسعة.
— أكن تتناول العشاء في المنزل؟ تسأل الأمّ الرؤوم قلقةً.
— بلى، ولكن فيما بعد. إحفظي لي طبقاً ما، وسألتهم فور عودتي.
— سأشاهدُ التلفزيون، تقول هامسةً.

ما يعني، في لغة فيليس، انها ستنتظرني حتى نهاية البرامج
وربما بعد انتهاء البرامج بوقتٍ طويل. كم يَلْذ لها أن تراني مُنغمساً
في تناول الأطباق الشهية التي تحضرها لي. تسكَبُ لي الشراب، أو
تناولني الملح أو الخردل حالما تشعر أنني أحتاج الملح أو الخردل...
- ألسنت متورعة، يا أمي؟

- لا، على الإطلاق. ما الذي يدعوك الى هذا الظن، هل يبدو عليّ
التوَعَك؟

- ربّما بعض العياء.

- ذلك أن مدبرة المنزل لم تأتِ اليوم. تخيّل، لقد وضعت ابنتها
مولوداً، ولكن المسكينة كانت قد تناولت أثناء الحمل جرعات من
«التاليدوميد»...

وترسم فيليس إشارة الصليب على وجهها، فأدرك أنّ السيدة
سوغرونو المسكينة، التي يجتمع شمل الولايات في عقر دارها، قد
أصبحت الآن جدّة لمولود يُشبه أسد البحر.



هدوء مُسطح (انه الشيء الوحيد المسطح في شقّتهم) يسود
الاجواء عند آل بيرويه. تأتي الخادمة وتفتح الباب وتبلغني أن
السيد في داره بالفعل.

لقد رُفعت الانقاض. وسدّت ثغرة الحائط بقطعة سياج مُشبك،
لكي يُتاح لجارهم في الطبقة العلوية الذي قد يقع دون أن يسمع وقع

سقطته، أن يبقى حيث هو؛ وكذلك الأمر أصلح من الأضرار ما يمكن إصلاحه.

برت تراقب شاشة التلفزيون متهاكّة فوق إحدى الكنبات. وبقرّبها جلس صديقها المزيّن. وخلفها جلس بيرو على كرسيّ كأنّه راكب باص. ويُسمع بوضوح صوت حمّالات الجوارب المطاطي الخافت لفرط ما تستسلم البدينة لداعيات المزيّن الموسيقية البارعة. على الشاشة تظهر صورة السيد بيار صباغ بشحمة ولحجم على أنّه رجل القرن العشرين. يطرح السيّد صباغ سؤالاً عويصاً: «ماذا كان لون حصان هنري الرابع؟». ويستثير السؤال جواً من التشويق يستلبُ المشاهد فلم يكلف أحدهم نفسه مشقّة الترحيب بي أو تحيتي. فأجلس بقرب البدين. وتأتي الخادمة وتجلس فوق ركبتيّ لأنني استوليت على كرسيّها. انها لحظات حبس الأنفاس. مباراة العام: السيد بالاندار في مواجهة فتيان بلناف (متّحدين). يقول مندوب بلناف إن حصان هنري الرابع (ملك البويسون كاب) كان مُرَقّطاً. أما السيّد بالاندار فيؤكد من جهته، أن لونه كان أسود. صفركلا الفريقين! وتتواصل اللعبة.

يقرّر جلالته أخيراً أن يمدّ لي اصبعين لامباليين لمصافحتي.

- أيّ نسائم سعد أتت بك؟ يسألني بنبرة ملكيّة.

فأشدُّ على اصبعي النقانق خاصّة يده.

- أيمكنني التحدث اليك لبعض الوقت؟

- في ختام البرنامج، يقول حاسماً. وبأية حال أنّه السؤال الأخير.

- سؤال في الأدب! يوضح السيد صباغ. (إنه يوم الخميس، يوم صباغ الطويل).

يسحب بطاقة من علبة طويلة وفجأة يتهك وجهه مثل الهالة التي تغمر أرجاء صالة السينما.

- من كتب رواية «Du Mouron à se faire»^(*)، يسأل متخذاً على جاري عادته سحته الهازئة التي تثير حماس أربعة ملايين وخمسمئة وستة وعشرين ألف متفرج.

يجيب السيد بالانذار أنه شكسبير! أما مندوب بلناف فيقول إنه سان أنطونيو، فيفوز طبعاً.

- لقد نسي تماماً أنك مؤلفها، يعترف بيوربيه.

- ذلك أن ثقافتك الكلاسيكية لا تعوزها الثغرات!

كان نصر فريق بلناف ساحقاً. وأقصى السيد بالانذار عن المباراة. ومع ذلك يكافأ بجائزة صغيرة ويحظى بمصافحة الأنسة لوساج. وثمة من وجد نفسه قتيلاً قبل أن يحظى بأقل من ذلك! واهم بتحية السيدة الحوت لكنّها توارت في الأثناء. ثم عادت لتتهالك فوق الكنبة. يواصل المزيّن مداعبتها فتصدحُ البدينة الشمطاء بأنين يشبه دق مساقط المياه.

- انها فترات الاستراحة بين برنامجين! أوشوش في أذن البدين مشيراً الى بعلته.

(*) عبارة تعني: «قلق» (عامية فرنسية). (م. ع).

فيهمس في أذني.

- لا أستطيع الاعتراض. فنحن في فترة خصام. ثم يقول مُشيراً
الى صديقه الحلاق: «تخيل أن هذا المعتوه قد طلق زوجته. ومن
الآن فصاعداً سيمتّعنا بمؤانسته كلّ مساء.

افهم من هذه الصيغة المفردة جمعاً يطفح به الكيل.
واستدرجه الى الحانة في الأسفل.



وما إن يستقرّ على متن الكرسي المحاذي للبار يشعر الرجلُ
الهائل أنه في حالةٍ أفضل ويستعيدُ صفاء سريره.

- أوتعلم، يقول، منذ شجار البارحة وأنا لا أشعر بالراحة. إذ
يكدّرني كثيراً أن أفقد نمري. وفي آخر الأمر سأحصل له على
الجنسية الفرنسية. أما كلبي السنان برنار فهو نزيل عيادة
البيطري. وسوف تراه غداً مكسواً بالجبس، وكما أصبحت حاله
ستظن أنه ليس هو ما تراه بل تمثاله.

- سنضعه فوق منصّة الى جانب بينو، قلت مُمازحاً.

- على ذكر بينو، لقد عرّجت عليه هذا العصر.

- كيف حاله؟

- يُعاني الحكة كالعادة. ويكاد الشرطي الذي يحرس بابه لا
يفعل شيئاً سوى حكّ مختلف أنحاء جسمه.

- والآن، التقرير! أقول.

يكرع بيروبيه كأس البوجولييه جرعةً واحدة.

- لا تستبق الامور، يقول معترضاً.

ويمسح شفثيه بضربة كمّ عنيفة ويشير الى النادل بأن يسكب له كأساً أخرى.

- حسناً، هاك ما لديّ. نتائج المراقبة، لا شيء يستحق الذكر لأن القنصلية لم تفتح أبوابها طيلة النهار ولم يأتِ أحدُ اليها. لقد أفسدتُ عيني لفرط ما شخصتاً في واجهة السفارة من وراء نافذة صاحبك الأستاذ العجوز ونظارته الرديئة.

- أما من جديد بشأن مورييون؟

- لا شميمٌ خبر. وحارسة المبنى لم تره ايضاً.

- باختصار، أليس لديك ما تقوله لي؟

يتّخذ البدين سُحنة سلطان الغموض ويقرص ما بين فخذه بطرف الإبهام والسبابة.

- مَنْ يدري...

- لا تتخذ سُحنةً من يَعلم ويمتنع عن القول، أيها البدين! ليس هذا طرازك، أقول بحزم. إذا كان لديك ما تغرغر به فأبصقه الآن فوراً ولا تلعب معي دور هاري باور.

يستاء لكلامي هذا.

- هلاً أقلعت عن معاملتي كسرولة متسخة، يقول البدين المستاء. والجديد الذي سأطّلعك عليه قد توصلت الى معرفته بفضل مواهبي الخاصة.

يكرع كأسه الثانية. وأتمالك نفسي عن تقريعه. فبالصمت وحده انتصر عليه. فأتناول صحيفة كانت بمتناول يدي فوق البار وأستغرقُ في قراءة مقالة حول مباراة موناكو - نيس. فينتزعها السيد الحرون بقوة من يدي.

- لا داعي للمناكفة يا سان - أ، فأنا لستُ في الخدمة الآن. تأتي وتتزعمني من أوقات الراحة أمام التلفزيون. وأترك زوجتي الموقرة تحت وطأة مداعبات المزيّن لأتبعك وكلّ ما تفعله هو أنّك تقرأ صحيفة «الإيكيب» أمام عيني! هذا غير لائق.

تترقق دموع المهانة في عينيه الملوّنتين باللّوان مجاري السّسلخ.

فأحضنه مداعباً.

- هيّا يا بيرو، دَعك من العواطف. أخبرني...

إنه لينّ العريكة، هذا البيروريه. لا يُقاوم ضعف العواطف النبيلة، فينشقُ بقوة ويصرّح:

- حينٌ وجدت أن لا شيء يستحقّ المراقبة وشعرتُ بالضجر، رحّتُ أبحت وأنقّب في أرجاء بيت موريبيون.

- وما هي نتائج تنقيبك يا عزيزي؟

- هيذي هاك، هاك هيذي! أنشدَ وهو يُفتّش جيبويه.

ثم يطالعي بجراب تبغٍ صغير تفوح منه رائحة ميناء الصيادين في فصل المطر. ويفتّحه. يحتوي الجراب على صورة إباحية لامرأة ورجل يلعبان لعبة المصور (تلعب المرأة دور آلة

التصوير)، ومسواكٍ مشرّم، وحبّة بندق وقطعة نقدية من فئة الخمسين فرنكاً قديماً، وقطعة نقدية من فئة الخمسين سنتيماً جديداً، نثرّة من جبنة غروبير ووزّ لفتحة البنطال الأمامية. ويواصل تنقيبه وسط حفنة التبغ، ثمّ ترتسم على وجهه معالم الانتصار ويُطالعني بقطعة حديد صغيرة.

أتعزّف فيها الى رصاصة مسحونة.

– Què Zacco ؟^(٩٠) أسأله بالإيطالية.

– أنت ترى جيداً، يا صاحبي: انها رصاصة من عيار ١١,٢٧. وجدتتها مغروزة في السقف. وحاولتُ أن أحدّد مصدرها وأفلحت في ذلك. لقد أطلقت هذه الرصاصة من جهة القنصلية وقبل أن تستقرّ في السقف انتزعت نثرّة من إطار النافذة. ولا بدّ أن النافذة كانت مفتوحة لأن زجاجها لم يُكسر. وقد تكون هذه الرصاصة قد اخترقت صاحبك الأستاذ قبل أن تستقر في السقف. ولكنّ الحق يقال اعتقد انه احتمال بعيد، لأن الرصاصة قد انحرفت عن هدفها قبل أن تصل اليه بعد ارتطامها بإطار النافذة.

رحت أقلب الرصاصة في راحة يدي.

– مسألة موت أو حياة، قال مورييوني، أليس كذلك؟

– يَش سِير^(٩١).

(*) لا بدّ أن المقصود Che Casa الإيطالية، وتعني، كما لا يخفى على سان أنطونيو: «ما هذا؟».

(**) أجل يا سيدي، بالانكليزية في النصّ.

- الآن بدأت افهم. كان واقفاً وراء النافذة يُراقب القنصلية مُستخدمًا منظاره. فاكتشف جماعة القنصلية فعلته وارادوا التخلص منه. فأخطأه القنّاص وهرع موربيون يُريد إبلاغي بأي طريقة...

- لو أنّ الأمر يعود لي، يؤكد البدين، لبادرت الى الاتصال ببوليس النجدة.

- إن موربيون من طراز أولئك الذين لا يشبهون الاناس العاديين في ردود فعلهم. لذلك حاول الاتصال بي. وفي الاثناء صعد اليه جماعة القنصلية للتّثبت من موته.

- ووجدوا أنه حيّ يُرزق!

- أجل. وعندئذٍ تخلوا عن فكرة قتله على الفور واقتادوه معهم. أراد موربيون أن يترك أثراً ما استدلّ به الى الواقعة. ولما وجد نفسه عاجزاً عن التصرف بسرعة، انتزع رّقاص ساعته.

- لماذا؟

- الساعة كانت نقطة البداية. فقد أدرك أن أحداً ما تسلّل الى شقته أثناء غيابه عندما انتبه الى أن الساعة ليست متوقفة برغم المدّة التي أمضاها في المستشفى. وهكذا خطر له أنه بانتزاع الرّقاص يُعلمني بأن الأمور ليست على ما يرام...

اصفن لبعض الوقت. يبدو لي هذا التفسيرُ صائباً. ذلك انني لم افهم جيداً مسألة انتزاع رّقاص الساعة من قبل، أما الآن فانا واثق من انني أمسكتُ بطرف الخيط.

- ولماذا اقتادوه معهم؟ يسأل البدين.

- لأن اقتياد رجل حيّ أسهل من نقل جثة.
- ما كان عليهم إلا أن يقتلوا الرجل ويتركوا الجثة في مكانها.
- لا بدّ أن خطّتهم كانت مختلفة. وبأية حال، أدرك الآن حقيقة ما جرى.

- أخبرني، هيّا، يقول السّمين متوسّلاً.
- عندما وصلوا اليه كان موربيون يتحدث عبر الهاتف، وظنّوا أنّه ربّما أخطر الشرطة بالامر. فاحتاروا في امرهم، لأنّ بقاءه حيّاً يعني أنه سيصبح شاهد إثباتٍ ضدّهم، أمّا موته فيعني أنّ جثته ستصبح إثباتاً لصحة أقواله. وكان الحلّ الوحيد أمامهم أن يقتادوه معهم بسرعة.

ثمّ يستغرقني التفكير. هل قُتل موربيون في ركن بعيد منعزل؟ إنه أمر مرجّح، لا بل أكيد، لأنّ المزاح ليس من طباع هؤلاء السادة. إذ تذهلني قدرتهم الهائلة على قتل أخيهم الإنسان. وكلّ الدلائل تشير إلى أن مكيده خطيرة تُحاك في هذه اللحظات بالذات. فالحصار يضيق ولا يتسع وقت هؤلاء السادة لأيّ تسويق أو مراوغة، ولذلك يتخلصون من كلّ العقبات برصاص مسدساتهم. إنهم يُخاطرون بكلّ شيء على غرار مترلجي النخبة الذين يُقامرون بسلامة عظامهم لكسبٍ عُشرٍ ثانيةٍ في هبوطهم المنحدرات.

- ومع ذلك أجدّ أن هذا التعاكس غريب بعض الشيء. يصرّح صاحبُ الاستدارة.

- أي تعاكس؟

- تعاكس المسارات عبر النافذتين! ففي المرّة الأولى يُطلق

الرصاص من منزل موريون باتجاه القنصلية، وفي المرّة الثانية يطلقُ من القنصلية باتجاه بيت موريون. انها كرة طاولة!
- بالفعل، أيها البدين. أو ما يُسمّى في بلاط صاحبة الجلالة اليزابت الثانية حفلة - ثقوب - الرصاص.

انظر الى الساعة: انها العاشرة وبضع دقائق!

- أتوهى صيد السمك على ضوء المصباح، أيها البدين؟

- صيد سرطان البحر؟

- وسمك القرش! إنني أدعوك.

- متى؟

- على الفور!

يبدأ بالشكوى.

- لا أستطيع: لقد فقدت عدّة الصيد: فخلال عراكننا أمس قصّت بيرت جرّمتي المطّاط بالمقصّ.

- الصيد الذي أدعوك اليه يقتضي انتعال حذاء رياضة.

- إلى أين وجهتنا؟

- الى رويل ماليزون.

- عند نهر السين؟

- لا، يا عزيزي: عند المياه الاقليمية الالابانية.

يهز رأسه الضخم كراس عجل حتى كاد يتساقط النمش الذي يغطي أنفه.

- أرفض رفضاً قاطعاً: مرّة واحدة تكفي! فما زلتُ أذكر، يا سان

انطونييو مغامرة تلك الليلة، لا شكراً، بالفعل.

- ممتاز، أقولُ له. إذأ سأذهب بمفردي.

أرمي ورقة نقدية لبائع الشراب المخلل وأتجه نحو الباب بكبرياء.

- مهلاً، يقول المنتفخ معترضاً، لا تتسرع، ما أردتُ أن أقوله لك

هو...

إلا أنني أغلقت باب الحانة ورائي ورحتُ أسيرُ في اتجاه

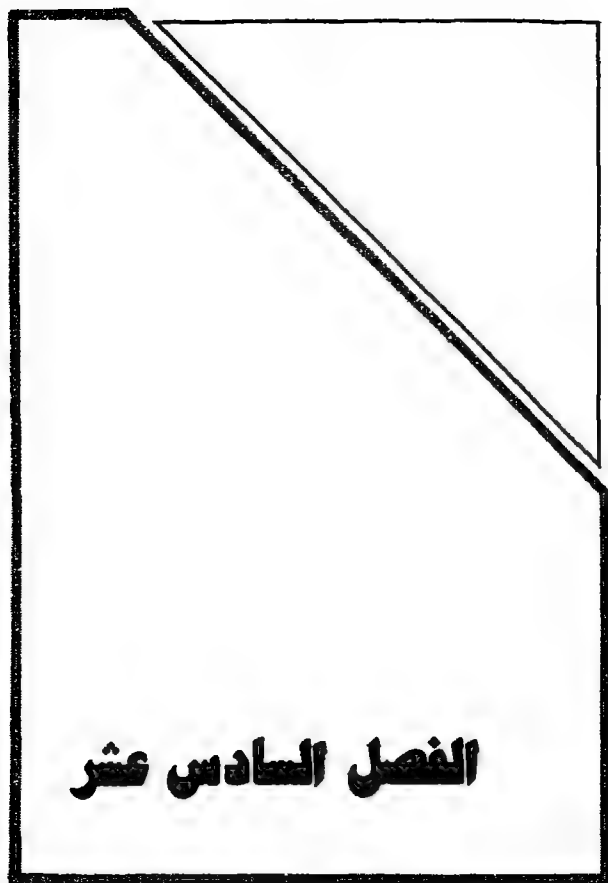
سيارتي.

وما إن أدركتُ المحركَ حتَّى فتَح الباب الآخر بحركة خاطفة ولم

يلبث السمين أن تكدّس فوق المقعد بجانبني. ألم تقل أنت أن هذه

المهمة تستوجب انتعال حذاء رياضة؟ يسأل السمين. ذلك اني، كما

ترى بأم عينيك، انتعلُ الآن حذاء عادياً.



– ما الذي يدعوك الى طرق باب تاجر الكلاب في مثل هذه الساعة، يقول البديع مندهشاً. اتودّ أن تشتري كلباً.
– دعك من الأسئلة يا آينشتاين.

نحن في نانتير عند متجر «الاميراطورة» لبيع الكلاب وصاحبه مفتش سابق في الشرطة لطالما كان شغوفاً بتربية الكلاب. تستقبلني جوقه من الحيوانات النابحة. يُفتح الباب فيطالعني المفتش السابق كارلين مُرتدياً سترة الصيد ذات الازرار المزركشة وقد نقشت عليها جميعها رؤوس كلاب.

يُغمضُ كارلين عينيه السلوقيّتين (فهو من مقاطعة بروتانيه) ويصرخُ قائلاً:

– أهو حلم!

– بل علم، أجيبه بفصاحتي المعهودة.

عناق يليه الحوار المعتاد الذي يُستخلص منه أنّه على خير ما يُرام – لا بأس – وانت؟ شكراً. أمل أن تكون كذلك انت أيضاً. ويدخلني الى مطبخ حيث يحتضر جروكسيح في سلة مُسطحة جُعلت لهذا الغرض.

– أي رياح ستَعِدُّ ترمي بك في الجواريا حضرة الكوميسير. أتبحث
عن كلب؟

– لا، أبحث عن كلبة.

– من أي نوع؟ فلديّ كلب الراعي ومَلَطَيّ الحراسة ودرواس
بورديو.

– أهو ذاك الذي يُشبه أخاه كالترام؟

تستهويه الدعابة وإن كانت لا تستحق ابتسامة صفراء.

– اما رَلْتُ تؤثرُ الدعابة والمزاح يا حضرة الكوميسير.

– تقصد أنني أصبحتُ مفرطاً فيها. إسمع يا كارلين، لا أبالي
كثيراً بالنوع، ما أريده هو كلبة في حالة هياج.

فتجحظ عيناه ويسأل ببلاهة:

– ماذا تقصد؟

– القصد واضح: أريدُ كلبة في حالة هياج، ولا بدّ انك تملك
واحدة في تشكيلة الربيع هذه، أليس كذلك؟

– أجل، ولكن...

– إذًا، أيّها الأبله، إنّها كليتي. واحذرك: ما أريده هو دابة في
حجم برت بيروبيه!

– لديّ مرأثك: قِلْطية حراسة مُفْراء مُخططة في الرابعة من
عمرها!

– أحضرها.

– هل أنت جاد حقاً، أتريدُ شراءها؟

- إنني اشتريها. وأرسل الفاتورة الى تخشبية القيادة العليا، ذلك
أنها من جملة مصاريف الخدمة.
- لا بد أن ابتعاده عن السلك قد أنساه غرائب مزاجي فشعرتُ
بأنه يكاد يُصاب بالسكتة الدماغية.



- لقد قلت لي إننا سنذهب لصيد السمك، يقول البدين موضحاً.
والظاهر أننا على وشك القيام برحلة لصيد الطيور. ما اسم هذا
الكلب الجميل؟

- إنه يُدعى جولي، أقول.
- اسم غريب إذ يُطلق على كلب بمثل هذا الحجم.
- إنها كلبة.
- بأذنين كهاتين يصعبُ عليّ أن أصدق أنها أنثى.
- اعتقد أن التدقيق في الأذنين لا يكفي لمعرفة جنس الحيوان.
انطلق في اتجاه ماليزون. وأصل الى جوار المنزل بعد منتصف
الليل بدقائق.

- تشبث جيداً برسن الأنسة، أقولُ مخاطباً كتلة الشحم. لقد
أصبحت اللعبة بالغة الخطورة.

وبالفعل ما إن نصلُ الى سياج المنزل حتى يهرع الكلبان
المفترسان تسبقهما زمجرتهما المرعبة. أستخدم مفتاح سمس
الشهير وأفتح البوابة. وتقضي اللعبة بأن أدخل الأنسة جولي الى
المكان (وبالانكليزية يُدعى المكان أيضاً) قبل أن تنطلق صفارة

الانذار في الداخل. ويُتمم الهائل الذي شرحتُ له خطتي مشيراً الى
الكلبين:

- وماذا لو كان الكلبان لا يزالان بالإناث، أحسبُ أنها النهاية
يا سان - أ.

- انتبه! أقول. سأفتح البوابة وأستعد لدفع الأنسة جولي الى
الداخل على الفور وإلا تشبَّث المقتрсان بأعقابنا.

وما أردتُه كان. يمسك المونسنيور بيرويه بالكلبة جيداً وما إن
أفتح البوابة حتى يدفعها البدين الى الداخل.

- دخلت ملكة الإغراء! يصرخُ مبتهجاً.

فلا يُطيل الكلبان الانتظار. وما هما يستقبلانها على أفضل وجه!
ويروح الشمام يقبعتها ملحاحاً. ولا تعرفُ المسكينة كيف تواجه
الذكّرين. فتتقدم في حركة دائرية وتوزع عضعاتٍ خفيفة، ضرباتٍ
خفيفة بقائمتيها الخلفيتين، ولكن الواضح أنها لا تبدي مقاومةً
جادة. فهي تتمنع احتشاماً. ويلكزني بيرو الذي يُراقب المشهد،
بمرفقه.

- إنها تتمنع كما تفعل النساء. انظر الى هذه المكّارة الصغيرة
التي تتحرّق شوقاً ومع ذلك تبدي لهما عدم الاكتراث قبل أن
تنالهما على التوالي.

نتنظر بعض الوقت. فلا تلبث الكلاب الثلاثة أن تنتحي زاوية
ظليلة من الحديقة. وحين وقت العمل.

نسيرُ منحنين فوق عشب الحديقة لكي نكتم وقع أقدامنا. وكم

كُنْتُ مُحَقَّقاً حِينَ لَاحِظْتُ أَنَّ الْإِضَاءَةَ الَّتِي تَنِيرُ الْمَنْزَلَ لَا تَتَبَدَّلُ لَيْلاً
نَهَاراً.

فَضَوُّ الْكَوْكَبِ اللَّيْلِيِّ^(*) الشَّاحِبُ لَا يُبَدِّلُ شَيْئاً مِنْ مَنْظَرِ بَيْتِ
الْقَنْصَلِ الْكَثِيبِ.

يَسْطَعُ ضَوْءٌ وَحِيدٌ خَلَّلَ نَافِذَةً وَحِيدَةً. أَنَّهَا النَّافِذَةُ الَّتِي تَقِفُ
خَلْفَهَا أَحْيَاناً الْمَرَاةَ الشَّقْرَاءَ.

أَحْسَبُ أَنَّهَا تَعَانِي أَرْقاً مَزْمَناً.

أَشِيرُ إِلَى الْبَدِينِ بِأَن يَمُكِّثَ فِي انْتِظَارِي وَأَدُورُ دَوْرَةً كَامِلَةً حَوْلَ
الْمَنْزَلِ. لَا أَجِدُ مَا يَثِيرُ الرِّيْبَةَ.

— هِيَ تَعَالَى، أَيُّهَا الشَّرْطِيُّ الْمَجِيدُ.

يَتَبَعْنِي. الْإِحْظَ بَاباً صَغِيراً لَا يَدَّ أَنَّهُ يُسْتَخْدَمُ لِإِدْخَالِ حَمُولَاتِ
الْفَحْمِ. الْبَابُ مَقْلُودٌ بِالْمِفْتَاحِ، وَلَكِنْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ جَيْداً كَيْفَ أُعَالِجُ
الْأَقْفَالَ بِخَفَّةٍ وَبِرَاعَةٍ!

نَهَبْتُ نِصْفَ دُرْزِينَةٍ مِنَ الدَّرَجَاتِ. يُشْبِعُ مَوْقِدَ الْمَدْفَأَةِ الْعَمَلِاقُ
شُعَاعاً مِنَ الْأَضْوَاءِ الْحُمْرَاءِ الْغَائِمَةِ فِي أَرْجَاءِ الْقُبُورِ. إِلَّا أَنَّ الْإِنَارَةَ
الَّتِي يَوْقُرُهَا لَيْسَتْ كَافِيَةً. فَأَشْعَلُ مَصْبَاحَ الْجَيْبِ الْكَهْرِبَائِيِّ. إِنَّ
مِثْلَ هَذِهِ الْأَمْكِنَةِ لَا تَكُونُ مِبْهَجَةً فِي الْعَادَةِ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ
بِالذَّاتِ يُوْحِي بِالْفَجِيعَةِ.

(*) يَنْبَغِي أَنْ نَسْتَعِينُ، بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ، بِلُغَةِ الشُعْرَاءِ الْكِبَارِ، لِأَنَّ مِثْلَ هَذِهِ
الِاسْتِعَارَةِ مُجْلِبَةٌ لِلرَّاحَةِ. وَهِيَ أَنْذَاءُ، إِذْ أَفْعَلُ، تَتَنَابَهِي تَشْنِجَاتُ الْكَاتِبِ وَيَقْتَلْنِي
وَجَعَ عَقْبِي. (سَانْ أَنْطُونِي).

اتشَمَّ الزوايا مثل كلب بصيد.

— ما الذي تبحث عنه؟ يسأل بيرو.

— وما أدراني أنا!

فيهز كتفيه.

— إنه صيد في الظلام الدامس، يقول بحصافة.

ثم يتوقف ويُطلق صرخة ألم مكبوتة.

— ماذا حدث؟

— لقد انغرز شيء ما في قدمي، لقد أضعتُ فردة حذائي في الحديقة.

أصوبُ نور المصباح الى قدميه. يرتدي جوربين سوداوين. ينزع أحدهما والاحظ أنه مليء بالثقوب، ولكن يصعبُ على الناظر أن يرى الثقوب حين يرتديها. شيء ما قد غرز في كعب قدمه كأنه قطعة معدن لامع. فينتزع.

— مسمار مثبت؟ أقول سائلاً.

— ليس تماماً، يجيب بيرويه وقد أمسك بزُرْ ياقةٍ مستعارة بين أصبعيه.

فتبدر مني أهة تعجبٍ مكتومة حتى يُخَيَّلُ لسامعها أنها رسبت في فحص السماع.

— إنه زُرْ ياقة مورييون!

— هل أنت واثق مما تقول!

— لم أرى أحداً سواه يرتدي ياقة سيلُولويد مستعارة. انت تدرك

الآن يا ببيرو انني كذبتُ عليك حين قلت لك انني اجهل تماماً عما
أبحث. أنا أبحث عن مورييون المسكين. وكنت أرتابُ بأن أولئك
الأوغاد قد اقتادوه الى هنا!

— للإيقاع به في مكيدة الأب فرنسوا؟

— بالطبع.

— إذأ لا بد أن تكون جثته في الجوار!

ونبدأ البحث بانفعال محموم. وفي كل مرة أجدني مُرغماً على
استجداء الصمت من البدين الذي يتحرك بخفة بولدوزر من
ترسانة الاشغال العامة.

نغرز قضباناً في أكوام الفحم، ونقلب الحاجيات العتيقة وقطع
الغيار المقدسة في القبو، ونزج البراميل: عبقاً؟ آسف، الخطأ بسبب
البراميل، كنتُ أقصد: عبقاً).

— النتيجة: صِفَر الديدن، يقول القرد الشجاع الذي يرافقني وقد
تبليت ثيابه بفائض من العرق البروليتاري. إذا كانوا قد قتلوا
استاذك بالفعل فلا بد أنهم دفنوه في الحديقة؛ وإلاً...

ويُشير الى موقد المدفأة.

فأدلي بدلوي. أعشقُ أن أفعل. أحسبُ أنني أتفوق على الجميع
في إصراري على الإدلاء بدلوي.

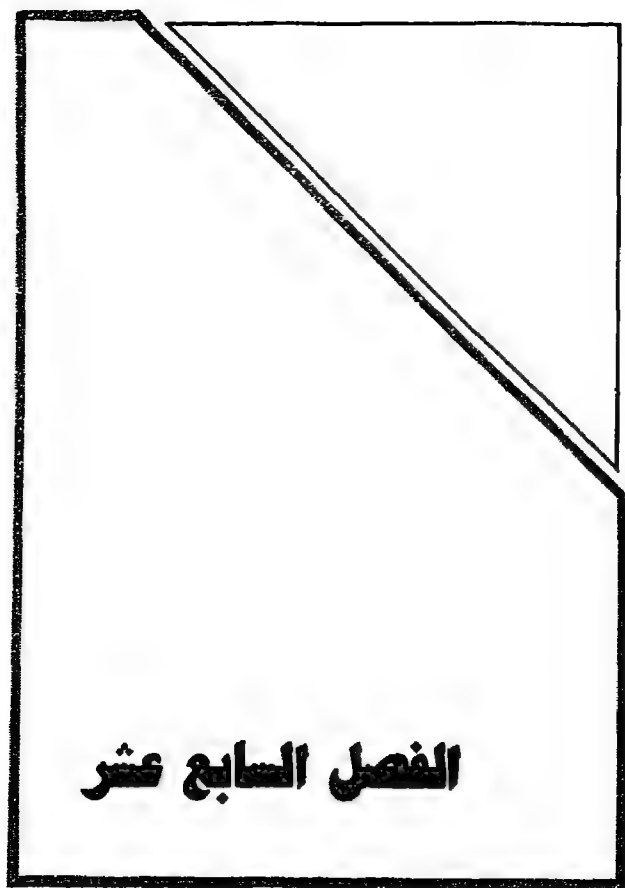
— ماذا نفعل الآن؟ يقول الكسندر — بنوا قللاً.

وبدل أن أجيب أدلفُ الى حجرة ضيقة ملحقة بالقبو. إنها حجرة
غسيل وفيها حوض حجري، ومضخة ماء وأسلاك ممدودة بين
الجدران وقد كساها الصدا.

انظرُ داخل الحوض. أجدهُ مليئاً بالطحين، أو... اتمسسه بأصابعي: إنه كلس! كلسُ منطقة آلبين، لا يل: أفضل أنواعه.

امسكُ قضيباً وانقب بواسطة داخل الحوض، يرتطم بكتلة جامدة. وعندئذ ارفع الكلس بواسطة معرقة تنبأت بضرورة وجودها هناك منذ أن شرعتُ بكتابة روايتي هذه. وإذا بي اكتشفُ بعد وقتٍ جثَّة متأكلة حتى العظام بفعل الكلس.

- إذا، أترى الآن، يتمتع رائد الموضوعية، بيرو، لقد عثرت عليه أخيراً، استاذك الكريم!



الفصل السابع عشر

إن مثل هذه الأدلة الثبوتية من شأنها أن تسبب الكثير من المتاعب لقنصل الابانيا.

- أنستدعي قوة المساندة؟ يسأل البدين. إذ يتوجب علي أن أعلمك بأنني لا أحمل سلاحاً. لقد جئتُ خالي الوفاض نظيف اليدين.

لا اصحو من ذهولي إلا بعد وقت. وأفكر: إن أي محاولة من قبلنا نحن الإثنين فقط هي محض جنون وقد تؤدي بكل جهودنا. ثم ان المستجذات التي طرات على القضية تستدعي مراجعة الرئيس.

- لنذهب! أقولُ بلهجة أمر: الامر الذي يستجيبُ لرغبات رفيقي المقدام.

أعيد الكلس الى الحوض ويتسلل عائدين من حيث جئنا، لم توقظ زيارتنا أحداً. الهدوء يعم المكان. وقد أطفئ النور في غرفة المرأة الشقراء.

- والكلبة؟ يسأل بيروفور وصولنا الى الباب الخارجي.

- سنستعيدها فيما بعد، دَعها تنال ليلتها الحمراء.

*

* *

في اليوم التالي، الذي يُصادفُ تماماً غداة عشية البارحة، يُعقد اجتماع قمة في مكتب الأصلع. ويشارك فيه حسب ترتيب الأهمية: هو وأنا.

أقدم له عرضاً مفصلاً للأحداث حسب تسلسلها الزمني وفي اتجاه دورة عقارب الساعة.

لقد أصغى وأدرك واتضحت صورة الوضع في ذهنه.

– من المؤكد، يقول مُستتجاً، أننا حيال عصابة حقيقية. ولا أفهم جيداً كيف لأحد أعضاء السلك الدبلوماسي أن يترأس مثل هذه الجماعة!

– الوقائع لا تكذب، أقول مقاطعاً. فالجرائم تليها الجرائم...

يقاطعني.

– لقد قابلت الطبيب الشرعي. لقد كانت وفاة ياباكسا دانثلاي وفاة طبيعية، ولم يعثر على أي أثر للسم. لقد أصيبت بنوبة قلبية ولم يصمد قلبها.

– غير معقول، أقول باستياء.

– أنت تعرف جيداً طبيبنا الشرعي: فهو لا يأخذ الأمور بخفة، وإذا أكد أن الوفاة طبيعية فهذا يعني أن الوفاة طبيعية.

– ولكن يجب أن تعترف أيها الرئيس أنها مصادفة مذهلة. فالمستغرب أن تفارق الفتاة الحياة بعد ساعاتٍ من محاولة قتلها دون أن يثير الأمر لدينا أية شكوك، أليس كذلك؟

– قد تكون الصدمة، والانتفعال الذي سببته، قد أفضيا إلى الوفاة؟

– إذا كان هذا التفسير يُرضيك، فهو يُرضيني أنا أيضاً، أقول بسذاجة زائفة لا تخفى على الأعمى الأصم الأبكم.

– والآن بشأن خرافنا الالابانيين، يقول المنتوف بنبرة ثغاء. اعتقد يا سان انطونيو أنه ينبغي أن نتجنب أي ضربة حاسمة في الوقت الحاضر. ولا شك أنك محق حين تقول إن هؤلاء الاوغاد يدبرون عملية خطيرة، ولذلك فإن أي عملية متسّعة قد تؤدي الى نتائج سلبية. فلنحكم شدّ حبال الشبكة و...

انه يهذي! هوذا يعيد اختراع خيوط الشبكة، العبقري برنار باليسي. فالشبكة التي يحرص على إحكام خيوطها قد لا تصطاد إلا قبض الرياح، ولن تصطادها إلا إذا كانت صغيرة الحجم.

– سأعمل على أن توضع القنصلية وبيت القنصل تحت المراقبة المتشدّدة. أما أنت، فامكث في موقعك، متاهباً. ستقل سعادته الى حفل استقبال، اليس كذلك؟

– بالضبط. حفل استقبال رسمي، قال السكرتير.

– سأستعلم عن الأمر، يقول الحيزبون، إذ ينبغي أن نراقب كلّ تحركات القنصل. من الآن فصاعداً، علينا بالحيلة والحذر...

أرفع إصبعي مثل تلميذ يستأذن بالمغادرة.

– نعم؟ قال الكهل.

– اعتقد أيها الرئيس، أن الحلّ الأفضل هو اعتقال السكرتير وحرسه والمرأة الشقراء وربّما القنصل أيضاً. إذ يسهل علينا الآن أن نجد مبرراً لمثل هذه الخطوة بعد أن عثرنا على جثة موربيون في قبر المنزل!

يضرب السيّد الأصلع - العجيب بقيضته على الطاولة.
- لننفذ ما أمرتُ به. ومرةً أخرى أقول لك إن التحقيق في
الوساطة الدبلوماسية يتطلب مقداراً أكبر من... الدبلوماسية.
- ذلك أنّك ترغب في مراعاة دبلوماسيين لا يتوانون عن قتل
أساتذة شرفاء ثم يذبيون جثثهم بالكس.
فينهض.

- أرجو المَعذرة يا سان أنطونيو، لديّ موعد.
كنتُ أودّ فعلاً أن أركل قفاه بحذائي عيار ٤٢، ولكني أعلم جيداً
أن مثل هذا التصرف لا يليقُ بأخلاقية السلك.
وفي مثل هذه الحال الأجدر بي أن أخرج الى الهواء الطلق
وأستنشق هواء المجاري الحريف.
فأذهب.

*

* *

يمضي النهار في دعةٍ وسكينة. وأذهب لزيارة بينو وأحكّ له: ساقه
اليمنى وعنقه وخذه الأيسر وإليته اليسرى وأذنه اليمنى وأنفه
ومؤخرته وقذله وجفنيه. إنّ المتباكي العزيز يُكابِدُ ألامه بصبر.
يتلقّى عنايةً مميزةً ويلعب دور النجم.

أبدلُ كلَّ ما في وسعي لأطلعهُ بشيءٍ من المواربة على خبر وفاة
سكرتيرته السابقة، إلّا أن بينوش يُجيدُ تلقّي الأنباء السيئة إذا
كانت لا تعنيه مباشرة.

.. ياباكسا المسكينة، يقولُ كنايةً عن محاولة في تأبينها، لقد كانت فتاة لطيفة ولا تقترب أخطاء في الطباعة.

.. هل كانت تشكو من مرض في القلب حين عملت في مكتبك؟
يفكر قليلاً.

.. لا اعتقد. وإن كانت... بلى، مهلاً، أذكر أنّها ذات مساء وفيما كانت تهتم بمغادرة المكتب شهدت حادثاً ما وكاد أن يُغمر عليها.
وكان عليّ أن أنقلها الى أقرب صيدلية حيث أجريت لها...
.. مراسم الدفن الأخيرة؟

.. لا، عملية انعاش بواسطة مصل مُعين. لاحظ يا سان أنطونيو
أن العدد الأكبر من النساء يُغمر عليهن حين يشهدن حادثاً ما...
أغادر الجريح العزيز بعد أن قطعْتُ له وعداً بأن أعود لزيارته
قريباً بغية إجراء عملية حُك شامل لبدنه الذي يستبدّ به الاكلان.



وقبل أن أعود الى «وظيفتي الجديدة»، نتبادل بيوربيه وأنا
اطراف هذا الحديث المُتَحَضِّر.

.. إسمع أيّها البدين، هذه الليلة أقامر بمستقبلي المهني كلّهُ،
أقول له. إن ربحْتُ الجائزة، لا بأس، وإلا فستجدني غداً هائماً
أبحث عن وظيفة حارس ليلي في أحد القطبين حيث يدوم الليلُ ستة
أشهر. لذلك كل اتكالي على صداقتك، وجراتك الدانتونية^(*) وعلى

(*) نسبة الى دانتون، أحد أبرز وجوه الثورة الفرنسية. (م. ع).

مزايك الجوهريّة (وإن كانت مليئة بالثغرات) كشرطي، وعلى حدسك
وحسّ المبادرة لديك وعلى قوّتك و...

فيشيزُ بيده مُقاطعاً وناثراً في الأرجاء رائحة الثوم التي تنبعث
منه.

- داعب الكلب فلا تجني سوى القمل! يقول الغول. هيّا، افصح
عمّا تريد مباشرة.

- يجب أن أقلّ القنصل هذا المساء الى حفل استقبال.
وهذا يعني؟

- اثناء غيابه ستعتمد الى التسلل بصورة غير رسمية الى منزله
في رويل المميزون.
- مرّة أخرى؟

- ولكن هذه المرّة ستنقّب في ارجائها شبراً شبراً، وستلقي
القبض على سحنة الغوريلا المقيم هناك وعلى السكرتير أيضاً.
- اتقول انه ينبغي أن اتسلل بصفة غير رسمية؟

- هذا يعني دون مذكرة اعتقال ودون أن تفصح عن صفتك
كشرطي، أفهمت؟

- وتريدني أن اعتقل كل هؤلاء بمفردي؟

- أنت المفتش الأوّل. اصطحب بعض الرجال، إقرع. واعتقل
المُخاط الذي سيفتح لك الباب. ثمّ تابع طريقك الى داخل المنزل
واعقل الجميع...
- وبعد ذلك؟

- بدل أن تقتاد مُعتقلين الى منتدى السجناء، اذهب بهم الى

منزلي في سان كلو حيث تحتجزهم ويترقبهم الى حين عودتي. ولكن
 حذارِ قأنت تعلم جيداً أنهم أبرع من استخدم الاسلحة النارية.
 - أبرع أم لا، فبأية حال ليس هؤلاء، من سينالون من بيرورييه.
 - إذأ، نفّذ ما أقوله لك أيها الفتى!
 - وماذا لو اندلع الضريط^(٥)؟ يسأل الكركدن قلقاً، هل سأتحمل
 المسؤولية وحدي؟

- لا، سأكون الى جانبك.

فيقول متفاخراً.

- سيُصار الى تنفيذ رغباتك كأنها أوامرياً مونسنيورا

فأطمئن وأهرع في اتجاه الضاحية الغربية.



يستقبلني الكلبان الضخمان بزمجرة وتقافز حين أقرع الباب.
 أحاول أن اتبين ما حلّ بالآنسة جولي المتوارية عن الأنظار.
 والأرجح أن الغوريلا قد رمى بها الى الشارع حيث تنتمي. وليس
 من المستغرب على الاطلاق أن تضجع فيما بعد جراء ليست من
 فصيلة قلطية الحراسة على الاطلاق. وعندئذ سيبدأ الشجار
 الحقيقي بين أصحاب النسب واللقطاء.

جاء العتيعت المتضخم وفتح الباب مهدئاً من روع الكلبين.
 فأبادره شاكراً بتحية عسكرية.

(*) يريد: ماذا لو حدث إطلاق نار. (م. ع).

يهز رأسه بجفاء. انه بلطف دبٌ قُطبي أيها الفتيان.
- عليك بتجهيز سيارَة صاحب السعادة، يأمرني، ان الغبار
يكسوها...

فأهرع اليها. أجدُ السيَّارة مُرمَدة مثل أهل الجنازة. فعندما
يقود المرء هذا النوع من السيَّارات يحسب أنه مجرد سائق في
مصلحة النقل المشتركة الحكومية. أقودها الى خارج المَرَّاب وأركنها
في الحديقة حيث أنصرف الى تلميعها بواسطة جلد جمل ميت.

تستعيد لعانها. انها حقاً سيَّارة باذخة لا تُضاهي. لستُ ممَّن
يرغبون في التتره كل يوم على متنها ولكن ينبغي الاقرار بأن مظهرها
ساحر. وعندما أفرغ من تلميعها أجلس على مرقاة بابها الأمامي
أدخُن سيكارة. بين الأشجار تسمع زقزقة عصافير. وتبرز النجوم
بارقة في سماء صافية. كم ينعم الكون بالسكينة حين يدعه البشرُ
وشأنه! أفكر في جثة مورييوس المسكين. فالحق يقال ان هذا الرجل
الودييع قد لاقى مصيراً مفاجئاً. كنت أحسب أنه سيجرجر عمراً
طويلاً من الأمراض بين قططه وكتبه. إلا ان سخرية القدر أبت إلا
ان تكذب حسياني.

- هل أنت جاهز؟

انه صوت الغوريلا، يرمقُ سيكارتني بعين حمراء.

- انا انتظر، أقولُ قاذفاً يعقب السيكارة نحو العشب المبلل.

أصعد الى السيَّارة وأقودها بمحاذاة مصطبة المنزل. أشعر
باختلاجات قلبي المتسارعة. أخيراً سأتمكن من رؤية وجه هذا
القنصل اللعين! أترجل وأفتح الباب الخلفي ممسكاً بكسكيتي

منتصباً في حالة تأهب يعجز عنها نصب الشهداء التذكاري. يظهر طيفان على المصطبة. أحدهما هو صديقي وادوتك هيثوردو، بكامل اناقته في بزة خضراء داكنة وأزرار مزركشة وكثفتين مذهبتين. أما الآخر فلم يكن سوى المرأة الشقراء التي لمحتها عبر النافذة.

استحوذت هذه الأخيرة على كل ما فيّ من انتباه. ترتدي فستان سهرة أبيض مزيناً بوردة من الذهب الخالص. إنها جميلة وحزينة. إذ يبدو بوضوح من خلال المساحيق التي تغطي وجهها إن قسماتها مشدودة وبدا التفضن يحيط بعينيها المتعبتين. إنها امرأة في الثلاثين من عمرها تقريباً، شعرها أشقر يميل في مواضع الى دكنة رمادية، عريضة الوركين بعض الشيء لحيمة الساقين (كما أحب النساء وإن لم يشاطرنني البعض ذائقتي)، لكن مظهرها يوحي بفننة مثيرة. تصعدُ الى المقعد الخلفي وفيما تستقر في جلستها ترمقني بنظرة ذات مغزى وأعمق من بئر في منجم. يصعد هيثوردو من بعدها. فأمكت للحظات متردداً.

- الآن يأتي سعادته؟ أسأل.

- لا، يجيبُ بجفاء.

أغلق الباب. وتبدو لي أبواب هذه العرية المغلقة في إحكامها أشبه بأبواب خزنة فولاذية، وقد تكون أكثر سَمَكاً، أصعد بدوري وأمكت خلف المقود في انتظار التعليمات.

يُنزلُ هيثوردو الفاصل الزجاجي بين الركاب والسائق:

- قصر الاليزيه! يقول بلهجة امر.

يا للحماقة. فتصعد الدماء الى رأسي.

إذا سَيّداتي سادتي أنتم تقصدون الأليزيه! أشعر بالقلق
بعض الشيء^(*). ولماذا لا يلتحق القنصل بالركب؟ وبأي صفة يحلّ
السكرتير في مكانه؟

انطلق وقد أثقلت رأسي أطنان وأطنان من الأسئلة المريبة.

عند مروري بجناح جوزفين ألح رأس بيرويه الضخم. فهو
يلانم مركز المراقبة ريثما نخادر. وأرجو أن يوفق بعمله. ذلك أنّ
رفاقي هم أول ضحايا هذه القضية!

لا اسمع الحديث الذي يدور في الخلف بسبب الفاصل
الزجاجي. ولكنّ عبر المرآة الارتدادية المقعّرة طراز فاد - ساتاناس
أتمكن من رؤية الراكبين خلسة.

لا يتبادل رفيقا الرحلة أية كلمة. فقد انتحت المرأة الشابة طرف
المقعد على أبعد مسافة ممكنة عن رفيقها. أمّا هذا الأخير فقد ارتفق
المسند القلاب ويبدو مطمئناً فخوراً ويلقي بنظراته اللامبالية على
سكان الضواحي الذين يهرعون فوق الأرصفة.

اجتاز منطقة «ديفانس»، ثم جادة «نوي» و«بورث ماييو»
وجادة «لا غراند آرميه». ثم ساحة «الايتيال»، فيطالعني
«الشانزليزيه» بكامل آبهته. وعند المستديرة انعطف يسّرة لأسلك
شارع «فويور سانت أونوريه» وأصل قبالة الأليزيه. محترس

(*) لم نعر في العربية على معادل أفضل لعبارة سان أنطونيو العربية في
الاصل: Un chouïa. (م. ع).

الجنرال^(*) مضاء في شارع جان جيونو. رتل من السيّارات الفخمة، ويدخلها أجمل أزواء عليّة القوم، يصطفّ أمام الباب وقد انهمك الحرس في زّي الاحتفالات الرسميّة في تنظيّم مرورها. اتّبع الرتل. وها انّذا بين سفير «كرواموازياء»^(**) ونائب قنصل «بروكسينيتيا»^(***). يتقدّم الرتلُ ببطء. وفي آخر الأمر أصل بالسيّارة - ولأوّل مرّة في حياتي - الى باحة التشريعات. تعرّف الموسيقى العسكريّة النشيد «هاك، يا صغير، هذه شروى نقيز»^(****). عمداء في اللباس العسكري يستقبلون الوافدين. وأرى فوق مصطبة القصر كلّ ممثلي السلك المصّاب بالقبض (على قولة بيرو): كبير وزراء تالبونجور، الكاردينال سلفعايدمان، أسقف بوسطن، سفير أيروتيسان، سعادة السفير ياتاموتوكيرويه على رأس الوفد الياباني، المونسنيور كوشتابيان، الموقد اليابوي، السيّد جول نابوليتان، عضو الاكاديمية الفرنسيّة، الاميرال سابورديه، البارون دو ميدو، الحاخام الاكبر دويون، القس قاليريرادو، السيّد كاش هاندكاري، وزير الخارجيّة الأميركي، السير برنر بارثي، نائب السفير المساعد لبريطانيا العظمى، الرئيس قوينوزوف والاميرة إيفا دونكشايترو حاكمة بيلايديو.

ويدوري اركن السيّارة بمحاذاة درج المصطبة. يتقدّم عسكري

(*) ديفول.

(**) شدة الاحمرار (كذا).

(***) مشتقة من القوّاد (كذا).

(****) لأمانة النص نورد الاصل: «Tiens, Petit, voilà vingt sous».

من ذوي الرتب العالية ويفتح الباب ثم يؤدي التحية العسكرية ويمد
إلى الراكبة الشقراء يداً مقفزة بقفاز أبيض. ثم يشير علي أحد رجال
الحرس الذي يشبه الطاووس بأن أركن السيارة في المرائب الرئيسي
الخاص. قسماً وطاعة. نوافذ الأليزيه الواسعة تسطع بالأنوار.
حشد هائل. عسكريون في الخارج ومدنيون في الداخل. يدنو مني
أحد الزملاء (السانقين):

- هل أنت الالاباني؟ يسألني.

فأجيبه بنعم ولو مؤقتاً.

- أنا الآن مغربي.

لكل امرء من دهره ما تعود.

- اعرّف مخرجاً من هنا، فماذا لو خرجنا لاحتساء كأس؟ يقترح
سائق المغرب.

- اقتراح يصعب رفضه.

فنتواري خلصة فيما يتابع الوافدون توافدهم، وتتابع الموسيقى
عزفها وتواصل الأليزيه إشاعة بهجتها الأليزية.

الفصل الثامن عشر

بعد أن شربنا أربع كؤوس بوجوليه في حانةٍ في شارع أنجو وبعد
أن زوّدني رفيق الشراب بعنوانٍ حانةٍ حيث بإمكانني أن أحتمي
الآنجو في شارع بوجوليه، أغادره للإتصال بالمنزل.

تردّ فيليس وتبدولي على حافة الانهيار.

- السيد بيروبيه هنا برفقة آخرين، تقول. بينهم جريحان
أحاول تضميد جراحهما.

- أريد أن أتحدّث الى بيرويا أميمتي.

- اغتبط. هكذا إذا أفلح البدين في إنجاز مهمته.

يتناهى صوته الدهني فيقرع أذني.

- لقد أنجزت المهمة يا سان أنطونيو. إنها حملة اعتقال واسعة

يا ابن اختي! ولديّ خبر صاعق سيذهلك!

- أي خبر؟ انعقُ قائلاً.

- لقد عثرت على السيد موريبون.

- ما الذي دهاك أيها الفتى. كنا سوياً تلك الليلة حين...

.. ولكن لا، لقد أخطأنا بشأن هوية الجثة. ليس هو من أغرق في
الكس بل القنصل!

فأزمر

.. ماذا تقول!

.. إنها الحقيقة «العارية» يا صديقي. أستاذك حيٌّ يُرزق وعلى
خير ما يرام. ولكن ربّما كنتُ أبالغ بعض الشيء في الصفة الأخيرة
فهو متوَعك قليلاً بسبب الخوف والمعاملة السيئة التي تلقّاها.

فأصرخ.

.. هيا، اروي ما حدث بحق السماء!

.. لقد اختطفوه من منزله كما توقعت أنت. انتظر قليلاً
سأستدعيه لكي يكلمك. ليس في صحة جيّدة ولكنه قادر على الكلام.

.. مهلاً، وماذا عن الرجل الآخر؟

.. الغوريلا؟ لقد جعلتُ وجهه مُسطحاً بضربة واحدة إذ حاول
أن يقاومني. والآن تحاول أمك أن تصلح فيه ما يمكن اصلاحه
وأحسب أنه يحتاج لقدرة ساحر لا لمهارة طبيب، فقد أصبح وجهه
أشبه بلوحة لبيكاسو.

ثم يصرخ منادياً:

.. هه! يا سيد مورييون! تعال وتحدّث مع تلميذك السابق!

فتناهى الي صوت مورييون الراهن يشرح للبدين:

.. يا صديقي الطبيب لا ينبغي أن تقول «تحدّث مع»، إنه تعبير
مغلوط. فنحن نتحدّث الى وليس مع...

– وتباً....! يقول بيرو معترضاً، وما الفرقُ بين الكلام والكلام؟

ينتزع موربيون السّاعة من يده بحركة استياء.

– يا صديقي الصغير، يتمتم قائلاً، لا بدّ أن الشرطة تعاقب
المجرمين لكنّها تتغاضى عن جرائم لغتها!

– هالو، يا أستاذ، كيف حالك؟

– حالي مثل حال مَنْ أصيب برصاصة في عضلة ذراعه ومكث
ثمانى وأربعين ساعة في قبو بلا طعام وقد كبّكت يده بشريط معدني.
أما الآن، وبفضل رعاية والدتك المستنيرة، أشعر بأني في حالٍ
أفضل. بعد هذا كله ينبغي أن أعود إلى المستشفى وأمكث هناك.
فهو المكان المثالي لِمَنْ بلغ سنّي.

– أخبرني قليلاً عمّا جرى.

– كنت أراقب فتيتانك الألابانين بواسطة المنظار وارتابوا بأمرى.
فأطلقوا عليّ النار وأصبحتُ في ذراعى. سارعتُ لإبلاغك بالأمر. ثم
جاؤوا إلى منزلي للتّثبت ممّا حلّ بي واقتادوني معهم. كلُّ هذا لا
يخرج عن المألوف.

يا له من صنديد، هذا المربي! لقد استهوته المغامرة، استاذني
العزیز موربيون! لقد أصبح النقيب «تروي» بلحمه وشحمه،
صدّقوا أو لا تصدّقوا!

– لقد قال لي بيروبيه إن القنصل قد استحمّ في حوضٍ من
الكلس، فكيف له أن يعلم؟

– لأنني أخبرته يا صديقي الصغير. فلاوضح لك قليلاً: خلال
فترة استشفائي التي دامت شهرين كان بجواري في غرفة

المستشفى، مريضٌ أصمٌّ وأبكم. وتعلّمت قراءة الشفاه بفضله.
فعندما كشف جماعة القنصلية أمرى كنتُ أرى جيّداً أنّهم
يتحدّثون في أمور مهمّة.

- كلّي آذان صاغية أيّها الأستاذ...

- طبعاً لم أتمكّن من فهم كلّ ما يدور بينهما بسبب المسافة
وضعف النظر. ولكن أستطيع القول أنّ مجمل ما فهمته هو التالي:
لقد قتلوا القنصل باطلاق النار عليه من منزلي. وهم يدبّرون خطة
لقتل وزير خارجية الاتحاد السوفياتي ورئيس الدولة ومن جهة
أخرى...

ولكني لا أدعه يتابع حديثه. أقفل الخط بسرعة وأهرعُ الى سائق
السفارة المغربية لأسأله:

- هل يُشارك سفير الاتحاد السوفياتي في الأمسية التي تقام في
الاليزيه؟

- هذه المسائية...! يقول متعتعاً، تُقام على شرفه!

أطلبُ فيشة أخرى من عاملة الصندوق وأعودُ الى الهاتف. وهذه
المرة أتصل بالختيار.

- ما جديّدك يا سان أنطونيو؟ أمل أن لا تكون قد اتخذت أي
مبادرة من شأنها أن تُسيء الى مجريات القضية؟

- اسمعني جيّداً يا كومة الخر...! أصرخ قائلاً. بين لحظة
وأخرى سيتعرض رئيس الجمهورية ووزير الخارجية الروسي
لمحاولة اغتيال.

- إذا كانت هذه إحدى دعاياتك يا سان أنطونيو...

- قد تكون المحاولة جرت في اللحظة التي اكلمك فيها، أيها الرئيس. يجب أن تصدر أوامرك الفورية باعتقال سكرتير القنصلية الذي يمثل القنصل في حفل الاستقبال. فهو الذي سينفذ هذه العملية. يجب أن يُعتقل فوراً، أسمعني؟ فوراً. وبشيء من المرونة!

اضعُ السَّماعة منهوكةً أتصبَّبُ عرقاً.

- يا لسحتك الغريبة، أيها الرفيق! يقول «زميلي» السائق. هل أكلت أصداًف بحر قاسدة أم ماذا؟

- إليّ بكأس من الويسكي! أقول للنادل. في كأسٍ مزدوجة، أريدها لشخصٍ مريض!



بعد ذلك بنصف ساعة أجدني عند مركز الحراسة على أبواب الاليزيه. وصدّقوني إن شئتم، على قولة بير، ولكنّ الخيار كان هناك أيضاً. بلى، لقد تكبّد الأصلح العجوز مشقة الانتقال نظراً لخطورة الموقف. وأعجباه: انه يعلم إذاً أنّ الشوارع موجودة والأشجار، وأنّ في العالم أناساً آخرين غير رجال الشرطة المتأهبين أبداً!

يدنو مني ويُمسك بكفّي ويُعانقني، بحركة استعراضية أمام الجميع.

- هوذا أيها السادة، يقول، الرجل الذي جنّبتنا الكارثة. واستطيع الآن يا عزيزي سان أنطونيو أن أوكد لك أن ترقيتك الى رتبة

كومييسير ممتاز باتت وشيكة. فعند ساعات صباح الغد الأولى
سيكون التقرير على مكتب الوزير...

بادرة لطفٍ لا تنسى أن يُعانتقني العجوز. فأروي له كيف عصيتُ
أوامره رغبةً مني في كبح حماسه المفرط. وبالكاد ينتبه. لقد أوشكت
الكارثة أن تقع وهو الذي لا يمتلك شعرةً واحدة فوق رأسه ما زال
يُشعر بقشعريرة الخطر الداهم.

– انظر ماذا وجدنا في حوزته!

ويسحبُ من جيب سترته مسدساً آلياً محشوّاً حتّى الفوهة
برصاصاتٍ من شأنها أن تشفي صداع قطع من الفيلة.

– وما تعليق هيثوردو؟

– لا شيء. ولن يتكلم.

– والمرأة؟

– إنها هنا. إنها زوجة القنصل وتطالب بولدها. لقد اختطفه
هؤلاء الإرهابيون لإبتزازها واخضاعها.

– إعمل على طمأننتها، فأنا أعلم أين هو.

– وأنا أيضاً أعلم أين هو، يقول الحيزيون متفاخرأً.

ومراعاةً لشأنه ومنصبه: أكرم قهقهةً هازئةً تتشبّث بفكي.



– هلاً دعوتني لتناول الطعام؟ يسأل بيرو. ويُضيف بشيء من
الحسد:

- لا بأس إذا دفعَ مَنْ بات مُرشحاً لرتبة كوميدير ممتاز ثمن وجبة عادية لأحد مرؤوسيه.

- أوكي، يا بني، إني أدعوك الى المطعم الألاباني عند ساحة بيرير.

- لقد طفح بي الكيلُ الألاباني!

- طفح بك الكيل ولكنك لم تتناول فيه طعام الغداء بعد، أقول له بلباقة مُفرطة ذلك اني اشعرُ بارتياح مُذهل.

فيضحك. ذلك أن بيرو ليس صعب المراس ويكفي أن تسترضيه بكلمة.

عند السلم نصادف العجوز.

- الأمور على خير ما يرام، يقول، لقد استعادت السيِّدة زوجة القنصل ولدها وستعودُ الى بلادها. جرح السيد موبوي في طريقه الى الشفاء و... الطقس مُشمس. الى أين أنتما ذاهبان؟

- إلى المطعم الألاباني عند ساحة بيرير. لك أن ترافقنا إن شئت، أيها الرئيس؟

- للأسف، وقتي لا يسمح لي بذلك.

كانه صباح عيد. خفة في الأجواء وزحمة على أرصفة شارع كومارتان.

- ولماذا تصرّ على الذهاب الى هناك؟ يستعلم بيرو.

وإذا امتنع عن الإيضاح، يردف قائلاً:

- بسبب وفاة الصبيّة، اليس كذلك؟ ما زال الأمر يُشغل بالك،
اليس كذلك؟

- بلى.

وهناك تولم لأنفسنا. يطلب بيرو طبقاً من قُلْفِ السلطعون المقلية
بالثوم كمقَبَل، أمّا الطبق الاسامي فأراده رأس حمار أغبر باللوبياء
الحمراء. بالإضافة الى حساء جبنة بالسكر الناعم كتحلية.

- اعذرني لدقائق، أيّها الاكول، اقول له، سأذهب لغسل يديّ.

- وأنا أيضاً، سأذهب لابلّ! يقول فجأةً.

نذهب الى المغاسل، ويدخل بيرو الى كابينة الرجال نظراً لأنّ
والدته قد زوّجته بكل اللوازم الضرورية لمثل هذه المناسبة. تنتظره في
الخارج متعمّداً تبادل أطراف الحديث مع حافظة الملابس. عرفتني
على الفور وبدت مزعجة. إنها كائن غامض وأسأل نفسي أحياناً
كيف يمكن لمثل هذه الكائنات أن تحيا. أحدها بنظرات ثابتة وكلّما
ازداد ثبات نظراتي ازداد ارتباكها. وكلّما ازداد ارتباكها ازداد
ثبات نظراتي، حتّى أن احدها لا بدّ أن ينفجر في لحظة ما، مثل تلك
الحرباء التي ربيخت فوق تنّورة اسكتلندية.

وفي آخر الامر أبادرها قائلاً:

- يبدو أنّك لست على ما يرام، يا صديقتي الرقيقة...

- ولكن لماذا أبدو...

- بلى، بلى. وان سألت عما أقول بهذا الشأن، فلا بدّ أنك تعانين

تأنيب الضمير.

فجأة تترقق دموع في عينيها.

وَاسْتَعِيدُ فِي ذَاكَرَتِي حَقِيقَةُ مَا جَرَى لَيْلَةَ أَمْسِ الْأَوَّلِ (التي تصادفُ غداةَ اليومِ الذي يسبقها بمصادفةٍ مذهلة).

فِيمَا كُنْتُ أُرْتَدِي مَعْطَفِي الْمَشْمَعِ كَانَتِ الْفَتَاةُ يَابَاكُسا تَدْخُلُ إِلَى كَابِينَةِ النِّسَاءِ. وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ قَالَتْ لَهَا حَافِظَةُ الْمَلَابِسِ شَيْئاً مَا...
حَدَّثَ الْأَمْرَ بِسُرْعَةٍ خَاطِفَةٍ فَلَمْ أَعْرِهِ انْتِبَاهاً.

— مَاذَا قُلْتَ لِلْفَتَاةِ؟

تَكَلَّمْتُ بِصَوْتٍ هَامِسٍ كَأَنِّي أَسْأَلُ نَفْسِي. مَتَمْتِماً.

— وَلَكِنْ...

— لَا تَحَاوِلِي الْخَدَاعَ وَإِلَّا سَتُنَالِينَ جَزَاءَكُمْ...

— لَقَدْ عَرَفْتُكَ، نَقُولُ...

— مَاذَا تَقْصِدِينَ، عَرَفْتَنِي؟

— لَقَدْ كُنْتُ أَعْمَلُ كَنَادِلَةَ فِي مَقْهَى يَقَعُ قِبَالَةَ مَكَاتِبِكُمْ.

— وَهَذَا يَعْنِي؟

— ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَعَقَّبُ اثْرَ الْفَتَاةِ. فَقَدْ كَانَتْ تَرْتَادُ الْمَكَانَ مِنْ حِينَ

لَاخِرٍ وَتَبْتَازِلُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ. كُنْتُ أَجِدُهَا لَطِيفَةً.

— تَابِعِي...

— قُلْتُ لَهَا أَنْ تَتَوَخَّى الْحَذَرَ.

أَزِفْتُ نَفْساً عَمِيقاً لَكِي أَتِمَّاكَ لَهَا نِيَّ الْمَتَسَارِعِ.

— مَاذَا قُلْتَ لَهَا بِالضَّبِيطِ؟

— أَعْتَذِرُ وَلَكِنْ...

— رَدَدْتِي أَقْوَالُكَ، بِحَقِّ السَّمَاءِ!

فتقول متلعثمة:

- لقد قلت لها: «احذري هذا الرجل فهو ليس من تظنين أنك تعرفينه بالفعل». أنا آسفة... ولكن صدقاً كنتُ أحسب أنها اقترفت مخالفةً ما وأنت...

- لقد تسببت بموتها، أتمتع قائلاً.

- ماذا!

- من أين لك أن تفهمي. لقد كانت مُصابة بمرض في القلب...

- ولكن...

- وكانت تعلم جيداً من أكون. وعندما أكدت لها أنني لستُ من تظن أنها تعرفه بالفعل، حسبت أنني أحد أفراد العصابة.

والزم الصمت. إذ لا حاجة للاستغراق في شرح الأمور لهذه الشمطاء المتعفة. لقد أصيبت ياباكسا بصدمةٍ عنيفة بعد ظهر ذلك اليوم. وعندما قالت لها فردة الجورب القديم هذه إنني لستُ من تظن أنها تعرفه جيداً حسبت أنني... ولكن ها أنا أكرر نفسي، فعذراً: إنه الانفعال. ذلك أن ياباكسا، صاحبة القلب الجريح، ما كانت لتحطم الرقم القياسي في العدو الذي سجّله ماتو سالم. ولكن مع ذلك لم تكن حماقة الشمطاء لتساعدنا!

صوت سيفون مجلجل! ويُفتح باب الكابينة. ينبثق بيرو منها رائقاً، واثقاً من نفسه، راضياً مرضياً.

- ليس لأنّ الأمر ممتع، يقول، ولكنه مريح!

ويروح البدين يسأل دون أن يتوقّف عن مضغ طعامه:

- للمناسبة هل استطعت أن تعلم كيف قتل هؤلاء الأوغاد
القنصل؟

- لَدَيَّ بعض التفسيرات.

- إذاً أخطرني بنصفها كما أشيخ نصف قضولي.

- إن بعض موظفي القنصلية كانوا ينتمون الى تنظيم مُتطرف
مكّلف بإحداث القلقة في أوروبا. وهدقهم: الحرب، الفوضى العامة!
- يا للمخنثين! مع أن الحياة جميلة! يخور البدين غاصاً بأذن
رأس الحمار الأغبر باللوبياء.

- لقد خططوا للأمر بعناية بحيث تبدو الحادثة في نظر زوجة
القنصل والموظفين الآخرين على أنها من تدبير اطراف خارجيّة.
فالقائد الذي حاول تصفية الفتاة دانلافي كان قد تسأل قبل ذلك
الى شقة موريبيون الشاغرة نظراً لموقعها الجغرافي...
- إذاً؟

- ربط شريطاً عند مسند النافذة ليشير الى وادونك هيثوردو أنه
أصبح في موقعه...

- وماذا بعد؟

- كان القنصل يعقد اجتماعاً في مكتبه يضمّ: السيدة وزوجها
القنصل ووادونك بالإضافة الى موظفين آخرين...

- وبعد ذلك؟

- لقد أرى القائد بالقنصل أمام هؤلاء الشهود جميعهم. وعلى
الفور بادر هيثوردو الى قيادة العمليات. وأقنع الآخرين أنه لا ينبغي
الإبلاغ عن الحادثة قبل إخطار العاصمة الالابانية بالأمر.

فالحادث خطر جداً. فرضخ الجميع نظراً لخطورة الموقف. الأمر الذي أتاح لهيثوردو أن يُسيطر على الآخرين وأن يحتلّ منصب القنصل القعلي. وهكذا استطاع أن يُعين رجاله في المناصب القيادية وعندما أصبح سيّد الموقف احتجز زوجة القنصل. فهو يحتاج معونتها في تنفيذ خطته خلال حفل الاستقبال. إذ كان عليها أن تتراس وقد القنصلية، أوتدرك قصدي؟

- ليس هناك ما يدعو الى العجب لأنها كانت الرئيسة بالفعل! يقول بيرو معترضاً.

يبدو لي أنّ البدين شارد الذهن. كنتُ أعتقد أن روايتي هذه تستثير فضوله... إلّا أن رأس التيس الذي يحمله له أحكامه. ففي بعض ساعات النهار تجتمع خصائص دماغه وقلبه وعضوه في مكان واحد: المعدة.

- وما اعترض سير مخططاته، أتابع برغم كلّ شيء. (مراعاة للقارئ المنتبه وليس لبيرو)، هو اطلاق النار داخل القنصلية الذي أودى بحياة القاتل. وإذ فقد اثنين من عناصره اضطر الى الاستعانة باليد العاملة الأجنبية. ولذلك أعلن عن حاجته لسائق فتقدّمت لنيل الوظيفة، الأمر الذي أتاح لي، في النهاية ...

أغرّز سكينتي، مغيضاً، في خشب الطاولة.

- ولكن بحق السماء يا بيرو، إلّا تمّ تنظر بدل أن تصغي!

- أرجو المذرة، قال المنتفخ، ولكن ثمة صهباء خلفك تثير فيّ الدوار. وأحسب أنني سأنالها. فهي تنظر إليّ باستمرار.

فالتفت الى الوراء والقي نظرة فاحصة. ثلاثة أعشار الثانية

كانت كافية لأدرك حقيقة الأمر، أنا اللبيب... الخ. هناك فتاة أعرفها تجلس الى الطاولة المجاورة، وهذه الفتاة ليست سوى الممرضة التي اعتنت بابن القنصل. تعرفونها جيداً، الفتاة التي تؤثر الفتيات على أشدّ الأشداء من الرجال. وأكاد أعصّ بلقمة الغومولكا.

- غير معقول! أقول لنفسي بالأمّ الملاك بال فعل. إنها ظاهرة غريبة تلك التي يسمونها المصادفة!

تبتسم لي برقة. ولا يبدو عليها أنها من طراز النساء اللواتي لا يُعرن الرجال اهتماماً إلّا إذا هرعوا لحمل حقائبها، أو لمعالجة صنبور حمامها.

- في مثل هذه الحالة، تقول، أرى المصادفة في هيئة رجل أصلع ينال وسام جوقة الشرف وقد زرعت طاولة مكتبه بغاية من أجهزة الهاتف.

ذبحت الإشارة اللامعة شرياني الأبهري وجمّدت أوصالي حتّى النخاع الشوكي.

- العجوز، أقول متلعثماً.

- هو الذي قال لي انكما تتناولان طعام الغداء في هذا المطعم.

وانضمت الى طاولتنا.

- أنت تعرفينه إذاً؟

- إنّه أباي!

فيفوق ذهولي ما قد بيديه من ذهول النائم الذي يستيقظ فجأة ويرى أن الطبقة الثالثة من برج إيفل تشاطره السرير.

- أبوك!

- ألا ترى أنه رجل! يتمم البدين.

تضحك كليل. ولكن تدعى كليل بالفعل؟ أجل: تؤكد ذلك. لقد
أقنعتها الحيزبون بأن تلعب دور الممرضة. انه شديد البأس، أليس
كذلك؟ ولا يخشى المخاطر. ولذلك ربما كان يُبدي مثل ذلك الحرص
على تجنب أي هفوة.

- لقد جنّت لأبد ما أشعته بيننا من سوء فهم، تهمس كليل.

- أي سوء فهم؟

- بشأن... أوه... بشأن تصرفاتي. لقد حذّرني أبي وقال لي إنك
كازانوفا وطلب مني أن أتحوط للأمر صوتاً لعفتي. فقناعته أنها
معرضة للمخاطر أكثر من حياتي. واقسمت له أنني سأحفظ
المسافة بيننا. وتذرعت بتلك الكذبة، أرجو أن لا تحقد علي.

أهز رأسي ببلاهة.

- لا، على الإطلاق.

يمسحُ البدين شفّتيه الزفرتين بمقلب ربطة العنق التي
استخدمت مراراً لهذا الغرض، ويقول مغتبطاً:

- إنك أكثر حنكاً من أبيك.

تستغرقُ عيناها في عيني الفتاة. فيسري في جسمي إحساس
بالدفع أمل أن تشعر بمثل له.

- ماذا تفعلين بعد ظهر اليوم؟ أنعقُ قائلاً.

— ما تفعله أنت. تتقّ قائلةً.

•

• •

لا تصدّقوا إن شئتم، لكنّها وفّت بالوعد!



استنجد موربيون الاستاذ المتقاعد بتلميذه القديم سان
انطونيو بعد ان قرا عنه في الصحف انه اصبح محققاً جنائياً
ناجحاً.

فقد عاد الاستاذ موربيون الى منزله بعد قضاء مدة شهرين في
المستشفى وفوجيء فور دخوله برائحة غريبة في الدار هي
اقرب الى رائحة البارود ورغم ان المنزل كان على حاله كما
تركه ولم يسرق منه شيئاً مما اثار شكوكه، بالاضافة الى
الرائحة الغريبة، ان وقاص ساعة الحائط لا يزال يعمل مع
انه تركه منذ شهرين ولا يفترض ان يستمر اكثر من ثمانية
ايام، فما الذي جرى في منزل الاستاذ؟ وماهي الاحداث التي
تعاقبت؟



1855131749